أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة
الاثنين
20 يناير 2025
20 رجب 1446هـ
العدد 11

لهيب يلسع القرى ويمتد إلى جوبا..

كيف يسهم مثقفو السودان وجنوب السودان في كبح التوتر والغليان..؟ ما الوصفة المثالية لتخفيف مناسيب الكراهية وتنفيس الاحتقان؟

أسبوع الأحداث الجسام

احتشد الأسبوع الماضي بمجموعة من الأحداث العظام، التي أضافت تعقيدًا على تعقيد المشهد السوداني، الغارق في فوضى عارمة. تلطخت الأيدي بالمزيد من دماء الأبرياء، وشحنت النفوس بالبغضاء، وغطى الفضاء العام دخان مسموم، ونافخ الكير لا يزال يطمع في المزيد. ولعل أبرز تلك الأحداث معاقبة وزارة الخزانة الأمريكية لقائد القوات المسلحة عبد الفتاح البرهان، ليكون ثاني قائد لهذه المؤسسة في قائمة المعاقبين دوليًا، وفيما كان ينتظر منه أن يراجع نفسه، ويحاول أن يتأنى ويستقرئ الواقع والوقائع بشيء من الحكمة، استلف ذات خطاب وخطط سلفه في التعامل مع هكذا مواقف، فلجأ للحشود الشعبية والخطابات العنترية، وعمي أو تعامى عن ما يحيق بالشعب الذي يخاطب باسمه ويتحدث بلسانه من فاقة وعجز وقلة حيلة، لم يحاول الاطلاع على تقارير بعثاته الدبلوماسية التي قطعًا وصلته، وهي تحكي عن ارتفاع حالات الانتحار والجنون وسط مواطنيه، الذين لجأوا إلى دول الجوار، وصم الرجل أذنيه متعمدًا عن أنات الأرامل وصراخ اليتامى والجوعى في معسكرات النزوح وبلدان اللجوء، ولا هو مهتم لأولئك الذين يطحنون يوميًا في مناطق الاشتباك من الجنود والمستنفرين، ولا يزال مصر، وهو الدارس بلا شك لاستراتيجيات المعارك والحروب؛ على الاستمرار في طريق ثبتت عدم جدواه وفداحة كلفته، مغلقًا بذلك أي أمل في سلام قريب يعيد للشعب كرامته، وللبلد عافيته، وللناس طمأنينة فقدوها منذ 646 يومًا بطلقة خرجت من بندقية يعلمها جيدًا، ولا نزيد.

الحدث الثاني الذي ظلل الأسبوع الماضي، ما جرى في مدينة ودمدني من انتهاكات وتجاوزات هزت الضمير العالمي وأرعبت الناس، وامتدت ألسنة لهيبها إلى السودانيين الذين يعيشون في دولة جنوب السودان، إذ قُتل 16 منهم وأصيب آخرون، ونهبت متاجرهم، إثر الاحتجاجات التي اندلعت كرد فعل لمقتل رعايا من دولة الجنوب، على أيادي تلك المليشيات الإرهابية التي تتحالف مع الجيش.

ورغم أن جنوب السودان انفصل عن السودان عام 2011 بعد حرب دموية استمرت لعقود، فإن الآلاف من مواطنيه ظلوا يعيشون في عدد من مدن وولايات السودان، ويعمل بعضهم عمالًا موسميين في مشروع الجزيرة الزراعي بوسط البلاد، ويعيش معظمهم في مناطق سكنية على أطراف المدن تسمى «الكنابي»، ويقطنها مزارعون وعمال ينحدر معظمهم من إقليمي دارفور وكردفان في غرب البلاد، وبالمقابل هناك رعايا من السودان يعيشون في مختلف مدن جنوب السودان، وبدأت علاقات الشعبيين في التعافي من أحن التاريخ ومحن النظام الإسلاموي، التي ابتلى بها أهل الجنوب حتى فضلوا الانفصال عن البقاء في دولة يحكمها الهوس الديني، لكن بقايا تلك المجموعات لن تترك زهرة تنبت ولا أملًا يرتجى.

والحدث الثالث، واضح إنه بداية تنفيذ الخطة «ب» التي أعلن عنها قائد قوات الدعم السريع في خطابه بعد الهزيمة التي لحقت بقواته في جبل مويه، وأثرت على تماسكها، وتقوم الخطة على عدم التمسك بالأرض وانتهاج أسلوب الغوريلا «أضرب واهرب»، مع استخدام سلاح المسيرات بعيدة المدى، التي يبدو أن المليشيا تحصلت على أنواع ذات تقنية متقدمة منها، وخطورة هذا الأسلوب الذي رأينا ملامحه خلال الأيام الماضيات إنه لا يترك بقعة في البلاد آمنة، ويجعل من مجموع مساحة السودان أرض معارك، ويكون الباحث عن الأمان فيها كالباحث عن العافية في أرض الطاعون. فخلال هذا الأسبوع الذي عنه نتحدث ظلت مدينة أم درمان تعيش ظلامًا دامسًا لليوم العاشر على التوالي، بعد أن استهدفت المسيرات محولات سد مروي، وقبل أن تكتمل صيانة تلك المحاولات لحقت بها محطة الشوك، وفجر اليوم الاثنين كان لمدينة دنقلا نصيب، وبذلك أظلمت معظم المنطقة التي كان يتباهى بها أصحاب الحلاقيم الكبيرة بأنها آمنة، ويصورنها وكأن البلاد كلها تنعم بالسلام والآمان والرفاهية، فالنهج الجديد للحرب سيكشف زيف الدعاية التي تريد أن تستمر الحرب عبر دغدغة مشاعر المواطن المغبون من تصرفات جنود مليشيا رفع ثوار ديسمبر صوتهم بحلها يوم كان من ينادون باستئصالها اليوم يعتبرونها «جيش الفتح الذي سيعيد دولة الدين المجيدة»، فتمظهرات الحرب وتحولاتها تقول لنا في كل لحظة بلسان الصدق إن الجلوس للتفاوض وإنهاء هذا الجنون اليوم أفضل من الغد، وأن انتصارًا ثمنه كل هذا الخراب هو هزيمة تمشي على رجلين وكفى.

أما الحدث الرابع، ليس الأخير، ولكن به سنكتفي هو أداء الرئيس الأمريكي دونالد ترمب اليمين الدستورية رئيسًا لأعظم قوى في العالم، وخطابه الذي حمل الكثير من الرسائل التي تنبئ في غير دهشة أن العالم مقبل على تغييرات واسعة، وما يهمنا بإلحاح من تلك الرسائل نقطتين الأولى حديثه «أن هناك حروبًا في العالم لن نتدخل فيها أبدًا». وبما أن العالم الآن بعد أن توقفت حرب غزة تبقت فيه ثلاث بؤر ملتهبة هي أوكرانيا واليمن والسودان، هذا يجعلنا نرجح أن المعني بعدم التدخل هو السودان، لأن أوكرانيا يصعب على الرجل تجاهلها، فتلك حربهم بالدرجة الأولى، وحرب اليمن ارتبطت لدى صانع القرار الأمريكي بأمن إسرائيل، الذي لا يتلاعبون فيه، وعدم تدخل الولايات المتحدة في حرب السودان ذي حدين ما لم نحسن التعامل معه، مستغلين النقطة الثانية التي أشرنا إليها وهي قول الرجل إنه يريد أن يكون إرثه في السياسة هو صناعة السلام، فإن تعاملت القوى المدنية بجدية مع هذه النقطة فبلا شك يمكنها أن تصنع من السلام في السودان واقعًا، بالنظر إلى شخصية ترمب المعروفة بسرعة اتخاذ القرار والمضي فيه إلى النهاية.. فهلا فعلت القوى المدنية ذلك وخلصت هذا الشعب من هذا الجحيم.

أسبوعية سياسية شاملة

رئيس التحرير
عثمان فضل الله

تصدر عن

MAARIF CENTER FOR STRATEGIC STUDIES LTD
REGISTERED OFFICE OF THE COMPANY IS SITUATED AT:
UGANDA، CENTERAL، KAMPALA، CENTERAL DIVISION، BUKESA، NSALO
POSTAL ADDRESS 177732
KAMPALA GPO

الغلاف

وجهات نظر

مذابح ودمدني و"الذاكرة السمكية"
النور حمد
22-24

كرامة جنرالات البشير وديموقراطية آل دقلو!!
رشاد عثمان
35-34

القتل على الهوية.. أيام كالحة في تاريخ السودان
حيدر المكاشفي
35-37

العدالة يجب أن تُرى
طاهر المعتصم
40-41

عقوبات واشنطن.. والتأثيرات المستقبلية
وائل محجوب
45-46

سؤال المبتدأ، جواب الخبر؟! أربعينية "محمود"، هل تصبح ميقاتًا لخروج "السودان" من التيه؟!
الجميل الفاضل
47-50

معاوية نور
الرؤية الجلية في الظلام الدامس!!
نور الأسئلة وحكاية كيس الصعود
عبدالغني كرم الله
51-52

نزوح
رحلة نزوح من توتي حُبلى بالمخاطر
4-8

نزوح
جحيم المخيمات.. قصف من الجو ومدفعية على الأرض
9-12

بيئة
عطبرة ونفاياتها المتراكمة
13-16

ومضة أمل
ابتسامة تتحدى المحن.. تتطلع لهزيمة الإحن

17-18

مع الحدث
"خمسة طيبة".. لهيب يلسع القرى ويمتد الى جوبا
19-21

تحقيق
"الكنابي".. فم لا يتكلم وقلب مفطور
25-32

مع الأحداث
مسيّرات فوق «طاقة» المدنيين
38-39

تقرير
رديف البرهان.. سيرة غامضة
42-44

انفوغراف

58

رحلة نزوح من توتي حُبلى بالمخاطر

الصورة الكبيرة

تقرير يعكس معاناة أهالي جزيرة توتي خلال فترة الحصار والنزوح من مداخل معاناة «راوية»، وهي امرأة حامل اختطفت ابنتها من قبل امرأة مجهولة، وحكاية إحسان التي تعرضت هي وأسرتها للتهديد والنهب من قبل قوات الدعم السريع. يسرد التقرير صنوف البؤس الذي حاق بالأسر إبان الحصار القاسي من قبل قوات الدعم السريع واضطرارهم للنزوح بعد اقتحام المنازل وسرقة الممتلكات وتهديدهم. يتلمس التقرير أوجه المحنة والجهود المبذولة في الوصول إلى أماكن آمنة.

معالم

• نزوح إلى المجهول: الأسر النازحة واجهت صعوبات كبيرة خلال رحلتهم، بما في ذلك التفتيش القاسي والابتزاز من قبل القوات.

• نقطة الوصول: تم استقبال النازحين في مدينة أم درمان، حيث تم توفير مراكز إيواء لهم.

• يبرز التقرير الجهود المبذولة لمساعدة الفارين من الحصار في الوصول إلى أماكن آمنة، وتشكيل لجان لترحيلهم واستقبالهم بدعم من المغتربين والمنظمات.

• فرّ الآلاف من توتي مع تكلفة ترحيل للأسر بلغت 04 مليون جنيه سوداني، وكانت الميليشيا تطلب مبالغ ضخمة للسماح بالخروج.

أم درمان - انتصار فضل الله

في جزيرة «توتي»، التي ظلت تحت الحصار طيلة الأشهر الماضية، فاجأ المخاض «رواية أحمد» (29 عامًا) لكنها احتملته بمشقة، ودون أنين، تفاديًا لتعرّض ما في أحشائها للأذى قبل صرخة الميلاد. كانت الفتاة تتحسس بطنها المُنتفخة بيدها في انتظار لحظة الطلق لإنجاب توأمها اللذين سبقت ضربات قلبيهما خروجهما إلى الحياة.. لحظات قاسية عاشتها الأم وهي تعتصر الألم في انتظار منحها تصريحا مكتوبًا من قبل عناصر قوات «الدعم السريع» الذين يسيطرون على مداخل ومخارج الجزيرة، لتتحرك بموجبه خارج توتي. في الأثناء كان الزوج يهرع في ذهول بحثا عن وسيلة يقل بها زوجته إلى مستشفى بشاير.

قضت «راوية» 3 أيام في المستشفى. تعثرت خلالها عملية الولادة التي تقرر أن تكون قيصرية جراء قطوعات التيار الكهربائي. في لحظات الانتظار الطويلة ظهرت امرأة ذات ملامح جميلة وبريئة وأخذت تتحدث مع النساء المقبلات على الإنجاب. بخطىً مسرعة اتجهت نحو «راوية» وتعرفت عليها ودار بينهما حديث طويل بشأن الحمل والأطفال.

أهالي توتي الذين يقيمون حاليًا في الثورة

581

أسرة وضع بعضها ميسر واستأجروا منازل

«راوية» أم أيضًا لبنتين وولد أعمارهم بين الخامسة والتاسعة. روت لـ«أفق جديد» بصوت متهدج والعبرة تخنقها: «فتحت قلبي لتلك المرأة. أخبرتها أني حبلى بتوأم وأسكن توتي حي (الشتيرتاب) بالقرب من جامع (التقوى)؛ فأخبرتني هي بأنها من مدينة الأزهري وقد جاءت إلى المُستشفى لانتظار أسرتها القادمة لحضور ولادة شقيقتها بعد تحويلها من مستشفى (الرازي)». تسترسل: «بدأت تهتم بحالتي الصحية وتسألني عن موعد الإنجاب، ثم انشغلت عنها بإجراء الفحوصات». ظلت المرأة المجهولة في المكان حتى اليوم الثاني ملازمة لراوية ولم تفارقنها للحظة، «حتى كدت أنسى سبب تواجدها». تقول: «عندما تذكرت سألتها عن أسرتها فقالت لي إنهم في الطريق».

في اليوم الرابع من حضورها إلى المستشفى خضعت راوية لعملي وأنجبت توأمها. كانت تروي حكايتها وتمسح دموعها بطرف ثوبها: لم أعلم بأن هناك نهاية مأساوية يخفيها القدر. تم تحويلي إلى غرفة التنويم.. في (العنبر) كما تقول «غبت عن الوعي مدة خمسة دقائق جراء البنج المخدر، ولكن رغم ذلك شعرت بطيف تلك المرأة تحمل الطفلة

وتستعد للخروج». تقول راوية: «أوقفتها وسألتها: إلى أين تذهبين بطفلتي؟».. ردت بأنّ والدها يريد أن يراها. طلبت منها بكل هدوء وعفوية ترك الطفلة لأن زوجي سيأتي للاطمئنان على صحتهم جميعا. ثم طلبت منها أن تحضر لي كوب ماء. «كنت أشعر بجفاف الريق، لكنها ذكرت لي أن الطبيب أوصى بعدم إعطائي الماء إلا بعد ساعات».. تسترسل: «بعد إصرار أحضرت لي الماء فبمجرد شربها غرقت في نوم عميق جدًا لم تتجاوز فترته العشرة دقائق، ثم استيقظت على وقع خطوات زوجي وهي تبطئ نحوي، وصوت صراخ أحد أطفالي يملأ أرجاء المكان.. طلبت من والدهما أن يتفقدهما لكنه فاجأني بأن الموجود واحد فقط..! طلبت منه الإسراع إلى الخارج لأن هناك امرأة كانت تصرّ على حمل البنت إليك. نزلنا سويا نبحث في فناء المستشفى دون العثور عليها.. أبلغنا الإدارة والأمن بفقدان الطفلة فاتضح انها عملية خطف.. ورغم البحث لم نتوصل إلى نتيجة حتى مغادرتي المستشفى بإسعاف (عربة هايس) بعد الحصول على تصريح للخروج لتبدأ رحلة النزوح إلى مكان آمن».

تناشد راوية؛ تلك المرأة المجهولة بأن تأتيها بطفلتها حتى تبل شوقها؛ فهي تدعو الله ليل نهار بأن يجمعها بها؛ فدموعها المنهمرة على خدود طفلها التوأم الصغير «معتصم» الذي أكمل شهره التاسع أخبرته بأن جزء منه مفقود فحرك جسده وفتح أعينه وكأنه يتفقد المكان باحثًا عن شقيقته التي ضاعت جراء الحرب اللعينة والتواجد الكثيف لقوات الدعم السريع في جزيرة «توتي».

أسباب الهروب

تعاني الأسر التي ظلت في «توتي» أشد المُعاناة، وتفرض عناصر قوات «الدعم السريع» حصارًا قاسيًا بالحديد والنار على البلدة.

وطبقاً لراوية فإنها خرجت مثلها ومثل بقية الأسر في يوم 13 يوليو 2024 من توتي، ذلك بعد أن «جنّ جنون عناصر تلك القوات»، إذ أصبحوا يدخلون البيوت الخالية من السكان للإقامة فيها وسرقتها في نفس الوقت، ثم تطور الأمر -بحسبها- إلى اقتحام المنازل وتهديد الأسر وأخذ ما يملكونه عنوة.

وقدرت إحصائية تحصلت عليها «أفق جديد» عدد الأسر التي نزحت مؤخرا من جزيرة «توتي» بحوالي 851 أسرة تقيم حاليًا في مدينة الثورة بمحلية كررى، بمدينة أم درمان غربي العاصمة الخرطوم، فيما فاق العدد الكلي للنازحين آلاف الأسر، فروا جميعا من ويلات الحرب وسيطرة عناصر الدعم السريع على الجزيرة بالكامل.

وعاش سكان «توتي» أوضاعًا سيئة للغاية منذ بداية الحرب في مواجهة أبشع أنواع الإرهاب، حيث تعرضوا للنهب والسلب والانتهاكات بشتى الأنواع. وخرج الكثيرون قبل شهر يرافقهم الخوف بعد أن عانوا كثيرًا جراء التدوين والرصاص الطائش وتردي الأوضاع المعيشية والصحية واتساع دائرة الفقر.

قصص إحسان

مثلها و»راوية»، عانت «إحسان عمر أحمد» (30 عامًا)، جراء الوضع المؤلم. تقول لـ»أفق جديد»: «ليلة دخول الجيش السوداني مدينة المقرن بالخرطوم هرب جزء كبير من عناصر الدعم السريع من توتي، لكن سرعان ما جاءت قوة جديدة بأشكال مختلفة تهاجم الأسر في البيوت حاملين «الكلاشات» والأسلحة البيضاء من سكاكين، وسواطير، وفؤوس، وشاكوش، وأيادي مدق صلبة كما تسميها. «كانوا يأتوا 4 إلى 5 أفراد للأسرة الواحدة ولم يسلم من أذاهم بيت أو أسرة، فقد دخلوا كل البيوت؛ وأصبحوا مؤخرًا يهددون السكان في الشوارع لدرجة أصبحت هناك صعوبة في الخروج لشراء الاحتياجات الضرورية إلا بواسطة الرجال ورغم عن ذلك يقومون بتثبيتهم وضربهم ويسلبونهم قوت يومهم»..!

وتضيف إحسان بنبرة كلها ألم: «قضينا فترة 15 يوماً قبل مغادرة توتي». كانت من أحلك الأيام كما تصفها «نرى فيها الموت كل لحظة، وعشنا خلالها انعداماً كاملاً للغذاء والعلاج والأطباء، فقد تم نهب كل الصيدليات، وتوقفت التكايا التي كانت تعمل بعد تعرضها للنهب، ووصلنا مرحلة تجويع وإرهاب وتهديد صعبة جداً قبل أن نفكر بجدية في الخروج.

كانت المليشيات نفسها تقف على العملية بعد فرض مبالغ مالية ضخمة جدًا تعادل المليارات على الأسر، وكان الترحيل يتم بواسطة (دفارات)، كما تقول.

نزوح إلى المجهول

تحركت عربة (الدفار) مسرعة وبحلول العصر وصلت إلى منطقة (السلمة البقالة). تقول إحسان: «كل مسافة خمسة دقائق في الطريق يوجد ارتكاز تفتيش تخص الدعامة. يقومون بتفتيش الشباب والرجال وأخذ الأرقام الوطنية ثم يطلبون من الأسر دفع رسوم عبور». في ارتكاز السلمة طلبوا من الأسر الترجل من الدفار وأمروا السائق بالذهاب إلى حال سبيله رغم أنه استلم منهم مبلغ 3 مليون و500 ألف جنيه سوداني للوصول إلى منطقة (أم ضوا بان). غادر السائق دون الالتفات إليهم لأن الدعامة قرروا حجز الأسر في العراء واخضاعهم للتفتيش في الصباح الباكر..!

وتشير إحسان إلى أن «البعض تحدث مع أفراد من القوة المرتكزة حول طريقة الترحيل فطمأنوا الناس بإحضار عربة تقل الكل، وبالفعل بعد التفتيش أحضروا حافلة (روزا) بسعر مليون ونصف للأسرة إلى شندي».

وتابعت إحسان بالقول: «تحركت الروزا ولم نقف إلا في الارتكازات، وهناك تعرضنا أيضًا لتفتيش قاسٍ جدا إلى أن وصلنا منطقة (ود حسونة) في الساعة العاشرة والنصف مساء»، مشيرة إلى أنهم لم يتناولوا طعاماً أو ماء طوال الطريق.

لم تنته رحلة المعاناة. ففي «ود حسونة»، حيث قطعت عليهم عصابات النهب والمجرمين الطريق، وتم تجريدهم من كل شيء وقاموا «بقلع» المفاتيح من سائق الحافلة. «حاول أحدهم أن يقود الحافلة بنفسه لكنه فشل» كما تروي إحسان، ولحظتها كان الجميع يتحصن بقراءة آية (الكرسي) ويدعون الله في صمت أن ينجيهم بعد أن أوقف الدعامة الرجال على الحائط ووجهوا نحوهم الأسلحة استعدادًا لتصفيتهم، ثم طلبوا من النساء تسليمهم الذهب والمال وكل ما يحملن من مقتنيات.

أما خالد حسن عبد القادر، (ضمن النازحين الناجين) وهو كادر طبي بمركز الإيواء، قال لـ»أفق جديد»، إن «سيطرة المتمردين على الوضع مكنتهم من استغلال المواطنين أسوأ استغلال؛ فقد غادروا جزيرة (توتي) إلى منطقة (أم ضوا بان) بعزبة دفار بمبلغ 5 مليون جنيه؛ وهناك من دفع مبلغ أكثر من المبلغ المتفق عليه.»

وأضاف، «خروج المواطنين تم على مراحل عديدة ولم يكن أمام الأسر أي خيارات؛ وعدم الأمان كان سببا للخروج إذ أنهم تعرضوا للذل والإهانة وكان الدعامة يقيدون بعض شباب ورجال المنطقة على الأبواب ويقومون بضربهم تحت تهديد السلاح .»

نقطة الوصول

يقول رئيس لجنة إيواء أهالي توتي بمدينة أم درمان، داؤود الرشيد أحمد المدني، «بعد حدوث المشاكل الأخيرة تكونت عدة لجان؛ لجنة لترحيل المواطنين بدعم من أبناء المنطقة المغتربين؛ فلم يكن

يتوفر لأغلب السكان المبالغ الكبيرة التي يطلبها المتمردين كفدية؛ ولجنة أخرى لاستقبالهم في أم درمان الثورة.»

وأوضح المدني في حديثه لـ«أفق جديد»، أن «خط الرحلة يبدأ من توتي إلى مدينة أم ضوا بان، ثم شندي وصولا لمدينة أم درمان.»

وأضاف؛ «بلغ عدد النازحين الذين يقيمون حاليًا في الثورة 581 أسرة؛ منهم عدد 580 أسرة وضع بعضها ميسر قامت باستئجار منازل والبعض الآخر تمت استضافته من قبل أهاليهم؛ فيما تم توزيع باقي الأسر على ثلاثة مراكز إيواء؛ وهي مركز إيواء مهاجر في الثورة الحارة 13 ضم 32 أسرة بواقع 130 شخصًا؛ ومركز إيواء المنهل في الثورة الحارة الثالثة ويضم 175 أسرة بعدد 751 شخصًا؛ ومركز إيواء بيت المال فيه 64 أسرة بواقع 150 شخصا».

وأشار إلى أن العدد الذي غادر جزيرة «توتي» أكبر من المذكور غير أن بعضهم فضل البقاء في شندي وآخرون سافر إلى بورتسودان وعطبرة والبعض الآخر الى مصر. وتابع: «بلغت تكلفة ترحيل الأسر حتى الأسبوع الماضي 40 مليون جنيه سوداني؛ المليشيا كانت تطلب من المواطنين مبالغ ضخمة جدًا حتى يسمح لهم بالخروج من توتي؛ عبر عربة تدفع مقابلها الأسرة الواحدة ما بين 4 - 6 مليون جنيه سوداني؛ فبعد مفارقة الأسر مناطق الدعامة والدخول إلى مناطق الجيش تتولى اللجنة ترحيلهم باستئجار حافلات من (أم ضوا بان) إلى شندي التي يوجد فيها مركز استقبال للتواصل مع اللجنة بعد الاطلاع على الكشف المرفق بأسماء الوافدين؛ عليه يتم استقبالهم وتبدأ إجراءات الحصر والتسجيل». وأردف: «يوجد تقسيم إداري في كل مركز إيواء يشمل وحدة تسجيل وحصر النازحين منذ وصولهم؛ وعدد أفراد الأسرة والأمراض المستعصية والإصابات الأخرى؛ وتتولى الوحدة الصحية الإشراف على المواطنين لأن أغلبهم يعاني مشاكل نفسية وصحية وإصابات بسيطة متفاوتة؛ جراء حرمانهم من العلاج في توتي؛ كما يوجد في كل مركز مخزن للمواد التموينية وتوجد وحدة أخرى تختص بالتكايا وإعداد الطعام للوافدين الذين اتسموا بالنظام التام؛ فكل وحدة لديها ممثل من المركز المعنى إضافة إلى ذلك توجد لجنة إدارية تتفرع منها اللجان التي تدير العمل بإشراف مشرف عام؛ وأيضًا توجد لجنة مالية؛ وكل مركز لديه مشرف خارجي وآخر داخلي؛ للرجال والنساء كل على جدًا».

أما بخصوص الوافدين الذين يعانون أوضاع صحية صعبة تتولى اللجنة أمرهم بالموارد الذاتية والمتابعة في المستشفيات العامة؛ لافتًا إلى أن مركز (المنهل) هو الرئيسي الذي يستقبل سكان توتي؛ ويشهد حاليًا ازدحامًا بشكل كبير والتخفيف عليه قامت اللجنة مؤخرا بإنشاء مركز مازال العمل جاري فيه لاستيعاب الوافدين ولضمان راحتهم وتوفير الأسرة لكل منهم؛ نظرًا أن هناك أسر ما زالت تجلس في السطوح وفي العراء وبعض الرجال ينامون في الشارع.»

وأضاف؛ «تتابع اللجنة مع السلطات المحلية معالجة الوضع؛ وتحسنت الخدمات التي تقدم للأسر والمتمثلة في الوجبات وهي تبدأ بشاى الصباح مع وجبتي الفطور والغذاء؛ تم توفيرها بفضل المغتربين والمنظمات وحكومة الولاية»، مؤكدا أن «الوضع في طريقه إلى الاستقرار وهناك محاولة لمعالجة مشكلة الازدحام بشكل نهائي بالتعاون مع المحلية والمغتربين».

وشكا المدني من مشكلة الصرف الصحي التي يعاني منها الأسر في مركز (المنهل)، وناشد السلطات الإسراع لمعالجتها؛ وأشاد بالدور الكبير الذي قدمه المغتربين في قضية أهاليهم المكلومين في توتي؛ موضحًا أن التكايا التي كانت تعمل أثناء الحرب في تلك المنطقة قامت بدعم من المغتربين فيما أكملت المنظمات بعض النواقص.

جحيم المخيمات.. قصف من الجو ومدفعية على الأرض

عن قرب

يسرد التقرير بعضاً من أوجه المأساة في معسكرات النازحين في دارفور جراء القصف الجوي والتدوين المدفعي المستمر، ما أدى إلى مقتل وإصابة المئات خلال الفترة الماضية، كما يروي فصلا من الأوضاع الإنسانية المأساوية في المخيمات، الناجمة عن نقص المعينات وانتشار الأمراض وسوء التغذية.

صورة من الداخل

• القصف المستمر: القصف المدفعي والجوي يستهدف المخيمات بشكل مستمر، مما يزيد من معاناة النازحين.

• اتهامات متبادلة: الجيش السوداني وقوات الدعم السريع يتبادلان الاتهامات بشن الغارات والقصف المدفعي على المدنيين.

• الحصار والمجاعة: المخيمات تعاني من حصار خانق ومجاعة، حيث أعلنت الأمم المتحدة بعض المناطق كمناطق مجاعة.

• الظروف الأمنية: الظروف الأمنية المعقدة وحظر شبكة ستارلينك يزيد من صعوبة الحصول على معلومات دقيقة حول الأوضاع في المخيمات.

مخيمات النازحين: أفق جديد

«لن يتذكرهم أحد بالتأكيد بعد أن فقدوا والدهم وأمهم وأولادهم في مخيم أبو شوك» كانت هذه آخر كلمات لأحد المشاركين في تشييع أسرة (ع-ع) على قبر العائلة التي قتلت بالكامل في غارة جوية.

ومنذ بدء المواجهات بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع حول مدينة الفاشر حصل النازحين في تلك المعسكرات أو حولها على لطمة قاتلة حيث يدفعون ثمن الأغلى وهو حياتهم مقابل تلك الصدامات التي تستمر مدعمة بالمدفعية والصاروخية على الأرض ومن السماء.

وفي الساعة الثالثة عصراً بالتوقيت المحلي، قصفت طائرة حربية مخيم أبو شوك، حيث كانت عائلة «ع» تستعد لتناول وجبة طعام بسيطة في ساحة منزلها عندما سقط صاروخ بالقرب من الجدار، ما أدى إلى مقتل أفراد العائلة.

وأكدت مصادر متطابقة في معسكري زمزم وأبو شوك لـ«أفق جديد»، مقتل أكثر من ألف شخص وإصابة نحو ألفي آخرين منذ بدء القصف المدفعي من قبل قوات الدعم السريع وشن الجيش لغارات جوية.

في مقابل ذلك، قالت مصادر مستقلة لـ«أفق جديد» إن عدد القتلى تجاوز الألف شخص، فيما قال عاملون في منظمات إنسانية محلية في المنطقة إن عدد القتلى وصل إلى أكثر من 600 شخص خلال الأشهر الماضية.

عدد القتلى في الأشهر الماضية وصل إلى أكثر من

600

شخص بحسب عاملين في منظمات إنسانية بالمخيمات

وطبقاً للمتحدث باسم المنسقية العامة لشؤون النازحين واللاجئين آدم رجال لـ«أفق جديد» عن بداية القصف الجوي على مخيم زمزم، قائلاً إنه بدأ في 4 أغسطس/آب 2024، حيث تم إلقاء برميلين متفجرين، ما أدى إلى مقتل 4 أطفال وإصابة آخرين وتدمير البنية التحتية للمخيم.

وأشار إلى غارة جوية عنيفة على معسكر أبو شوك في 3 يناير/كانون الثاني، وغارات أخرى بالبراميل المتفجرة أسفرت عن سقوط عشرات القتلى والجرحى وتدمير المنازل.

وبحسب رجال، فإن طائرات الجيش السوداني أغارت أيضاً على معسكر فات برونو الذي شهد في السادس من يناير/كانون الثاني الجاري غارة جوية لطائرات الجيش السوداني، ما أدى إلى مقتل وجرح 8 أشخاص بينهم 4 نساء من بينهن 3 شقيقات، وتسبب في دمار كبير بالمنازل.

وأكد في الوقت نفسه أن القصف المدفعي على معسكر أبو شوك بدأ في 10 مايو ويستمر حتى الآن، ما أدى إلى سقوط مئات القتلى والجرحى، حيث لا توجد إحصائيات دقيقة لعدة أسباب تتعلق بنقص المعلومات بسبب الظروف المعروفة في المعسكر والوضع الأمني المعقد وحظر شبكة ستارلينك.

وجزم بأن هناك آلاف القتلى والنازحين الذين فروا نتيجة القصف المدفعي على المخيم، وأن القصف مستمر منذ 8 أيام، وأن الضحايا يسقطون يوميا.

وأوضح أن القصف المدفعي على مخيم زمزم بدأ في الأول من سبتمبر ويستمر حتى هذه اللحظة، مؤكداً أن في الحادي عشر من يناير أدى القصف إلى مقتل وجرح مدنيين وتدمير منازل.

واتهم رجال، الجيش السوداني وقوات الدعم السريع بشن غارات جوية وقصف مدفعي يستهدف المدنيين ويدمر حياتهم وينهي وجودهم، معتبرا انه لا يوجد مبرر للغارات الجوية والقصف المدفعي من الطرفين على معسكرات النازحين التي يسكنها المدنيون، فهم ضحايا في السابق تحولوا إلى ضحايا جدد.

وقال إن العقل الباطن لطرفي الصراع هو الاعتداء على المواطنين بدلا من توفير الأمن لهم وهم مجردون من الإنسانية والأخلاق.

وأشار رجال، إلى عدم وجود أرقام محددة للغارات والقصف فمثلا معسكر ابو شوك يستمر القصف لمدة أسبوع متواصل، ومثلا معسكر زمزم يتعرض لغارات متواصلة بالبراميل المتفجرة بجانب القصف المدفعي.

ووصف الأوضاع الإنسانية بالمأساوية، إضافة إلى الحصار الخانق المفروض على المعسكرات والغارات المستمرة والقصف المتواصل وحالة المجاعة التي تحيط بالمواطنين في معسكرات شمال دارفور التي أعلنتها الأمم المتحدة مناطق مجاعة.

وأضاف: «في الآونة الأخيرة تم تصنيف مخيمي السلام وأبو شوك مناطق متضررة من المجاعة، بالإضافة إلى مخيمات دارفور بشكل عام، التي تعاني من وضع إنساني سيئ ومتدهور وظروف قاهرة حيث يموت الأطفال بسبب سوء التغذية والأمراض وأسباب مختلفة أخرى.

ونبه رجال، إلى عدم توفر المعينات للنازحين بعد دخول فصل الشتاء حيث يعاني النازحين بشدة من الظروف الطبيعية والأمنية وهم يحتاجون حالياً إلى زيادة المجهود وقيام طرفي الصراع بمراعاة ظروفهم.

عدد النازحين قبل الحرب كان

120

ألف بينما ارتفع العدد بعد الحرب إلى نحو

250

ألف بحسب متحدث باسم غرفة طوارئ معسكر أبو شوك

احصائيات صادمة

وكشفت بيانات متسلسلة لغرفة طوارئ معسكر أبو شوك، عن تعرضه إلى العشرات من الغارات الجوية والقصف المدفعي وهو ما فاقم أزمة النازحين.

وكشف بيان للمنسقية في 14 يناير الحالي عن وقوع انتهاكات بمعسكرات دليج وقارسيلا واطلاق النار في الثالث من يناير الجاري على النازحن بمنطقة كولجي شمال قارسيلا وإصابة شخصين بإصابات خطيرة.

وقال متحدث باسم غرفة طوارئ معسكر أبو شوك لـ«أفق جديد» إنّ عدد النازحين قبل الحرب كان 120 ألف بينما ارتفع العدد بعد الحرب إلى نحو 250 ألف.

يقول المتحدث المتحدث باسم النازحين في معسكر زمزم إن

17

شهيدا من الجنسين وأطفال سقطوا الأسبوع الماضي جراء القصف المدفعي

وأكد في حديثه سقوط 600 شهيد بسبب التدوين المستمر على المعسكر بجانب 1200 جريح هم ضحايا تلك الممارسات.

ومن جانبه قال المتحدث المتحدث باسم النازحين في معسكر زمزم خميس دودة لـ«أفق جديد» إنّ عدد الشهداء غير معروف لكنه عدد كبير، مشيراً إلى سقوط 17 شهيدا من الجنسين وأطفال وبعض الأشخاص الذين يعانون من مشاكل عقلية الأسبوع الماضي جراء القصف المدفعي.

وأكد أن المخيم المكتظ بالنازحين، والذي يقع على بعد 15 كيلومترا جنوب مدينة الفاشر بولاية شمال دارفور يتعرض بصورة متواصلة للغارات الجوية والقصف المدفعي من طرفي القتال ويتم كذلك استخدام مدافع هوزر 155 في عمليات التدوين.

ويعيش أكثر من نصف مليون نازح ونازحة في معسكر زمزم، فر معظمهم إليه من مناطق سكنهم الأصلية بعد اندلاع النزاع المسلح في الإقليم عام 2003، ومنذ بدء التصعيد العسكري في أبريل 2023 في مدينة الفاشر.

عطبـــرة ونفاياتها المتراكمة

استنتاجات

واقع بيئي بائس تحكي عنه أسواق وطرقات عاصمة الحديد والنار. تتراكم النفايات جراء العدد المحدود من العربات الضاغطة المعطلة والجرارات حسب تبريرات حكومية. هذا الوضع أدى إلى انتشار الناموس والذباب والحشرات.

اتجاهات الحدث

- التراكم الكبير للنفايات: تراكم النفايات في عطبرة يعد مشكلة كبيرة تؤثر على البيئة والصحة العامة.
- الأمراض المعدية: تراكم النفايات يؤدي إلى انتشار الأمراض المعدية مثل الملاريا والتيفويد وحمى الضنك والكوليرا.
- التهميش البيئي: تراكم النفايات يؤدي إلى تهميش السكان وتدهور البيئة المحيطة.
- التصفيات والحرق: بعض المواطنين يقومون بحرق النفايات بدلاً من تخلصها بشكل صحيح، مما يزيد من التلوث.
- التدخل المحلي: المحلية تعمل على تحسين الوضع من خلال إصلاح العربات وإضافة براميل نفايات على الطرق، لكن التحديات لا تزال كبيرة.

عطبرة- ابتسام عبد الرحمن

تُعاني مدينة عطبرة عاصمة «الحديد والنار»، من تراكم النفايات، ما أدى إلى توالد الناموس والذباب والحشرات.

واستقبلت المدينة مؤخرا، آلاف النازحين الفارين من العنف والاقتتال بسبب الحرب التي اندلعت منتصف أبريل/ نيسان 2023، ما أدى إلى اكتظاظ المنطقة التي تعاني أصلًا من تدهور البنية التحتية وتدني الخدمات العامة.

وأدى تراكم النفايات في المدينة إلى انتشار الأمراض والأوبئة، خاصة الملاريا، والتيفويد وحمى الضنك والكوليرا.

تقول المواطنة أسماء محمد علي، من سكان «الحي الشرقي»، إن عربات النفايات ظلت غائبة داخل الأحياء السكنية، وأن البعض يرمي النفايات داخل الحي والأماكن العامة والمساحات والميادين الخالية.

وأوضحت أسماء لـ«أفق جديد»، أن «رمي النفايات والأوساخ بشكل عشوائي يؤدي إلى تراكم الذباب والبعوض، وانتشار الأوبئة والأمراض المعدية مثل الملاريا والتيفويد وحمى الضنك والكوليرا».

يبرر مسؤول بالمحلية تراكم النفايات بأن عطبرة لديها

5

عربات ضاغطة وعدد محدود من الجرارات

وأضافت: «هناك إهمال وعدم مبالاة من بعض المواطنين، وليس هناك ثقافة لوضع النفايات في أماكنها المحددة مما يؤدى إلى تراكمها».

من جهته المواطن على حماد من سكان حي «السكة حديد»، أرجع ثقافة إلقاء النفايات داخل الأحياء غلى غياب عربات وناقلات النفايات، وعدم وجود مكبات ثابتة.

وأوضح حماد، أن البعض يتجه لحرق النفايات، وهذا الأمر يؤدي إلى تلوث البيئة، إذ يعاني البعض من أمراض الأزمة وغيرها من أمراض الصدر.»

بينما تقول المواطنة سعاد عثمان التي تسكن أيضا حي «السكة حديد»: إن «عربات النفايات كانت تأتي إلى الأحياء السكنية كل أسبوع برسوم قدرها ألف جنيه، لكن كثير من المواطنين يرفضون دفع الرسوم».

وأضافت سعاد في حديثها لـ«أفق جديد»: «بعض الناس لا يخرجون النفايات للعربة المخصصة، ويرمونها في مساحات الأحياء الخالية وهذا الأسلوب سيئ».

من جانبه طالب المواطن، عبدالله عيسى، المحلية بوضع براميل داخل الأحياء لتجميع النفايات والأوساخ.

وشكا عيسى في حديثه لـ«أفق جديد»، من توالد الناموس والبعوض في الأحياء السكنية، بسبب تراكم النفايات، وطالب بضرورة إيجاد حل للمشكلة التي تسببت في تفشي الأوبئة والأمراض.

وأوضح عيسى أن المصارف ومجاري المياه المكشوفة ساهم أيضا في التلوث البيئي داخل مدينة عطبرة.

وأكد أن البراميل المكشوفة الممتلئة بالنفايات والقمامة، أصبحت بيئة مثالية لتوالد الذباب والبعوض ما أدى إلى التلوث البيئي وانتشار الأمراض داخل المدينة.

وأضاف: «عربات النفايات لا تأتي إلى الأحياء، ونضطر إلى رمي النفايات في الميادين العامة والساحات الخالية».

إلى ذلك يقول مسؤول مشروع النظافة بمحلية عطبرة، خالد عبد الرحيم عبد الله، عندما سألناه من المعوقات والمشاكل حول أزمة تراكم النفايات: «المحلية لديها 5 عربات ضاغطة و4 جرارات، 2 من العربات الضاغطة معطلة، بينما تعمل بقية العربات

بعض العربات الضاغطة معطلة والبقية تحاول تغطية

67

من الأحياء السكنية والأسواق الرئيسية بالمدينة

وبعض الجرارات لتغطية 67 من الأحياء السكنية والأسواق الرئيسية والسوق العمومي والسوق الشعبي والميناء البري».

وأوضح عبد الله أن حجم النفايات اليومي يبلغ حوالي طن يوميًا، وأن العربات المخصصة لنقل النفايات ليست بحالة جيدة وتحتاج إلى الصيانة.

ورغم تقليل المسؤول المحلي، من حجم النفايات، إلا أن مشهد الأطنان من النفايات المتكدسة كان شاخصاً في الأحياء والشوارع والميادين العامة وعلى أرصفة الأسواق بالمدينة.

وأشار عبد الله إلى عقد اتفاق شركة «جياد» بعد دخولها مؤخرًا إلى الولاية لإدخال عربات جديدة، لكن تلك العربات أعطالها كثيرة، لكن الشركة بالاتفاق مع شركة صينية وعدت بإصلاح الأعطال في فترة وجيزة.

وأضاف المسؤول المحلي، «الأعطال الكثيرة للعربات أدخلتنا في إحراج مع المواطن، عندما يكون لدينا برنامج لحمل النفايات، ومع عدم الالتزام بتقديم الخدمة للمواطن تصبح المشكلة كبيرة».

ونوّه إلى أن محلية عطبرة تحتاج على الأقل إلى

6 عربات ضاغطة لتغطية مدينة عطبرة، وإزالة كل النفايات من المكبات حول المدينة.

وتابع: «سلوك المواطن تجاه التخلص من النفايات يعتبر مشكلة كبيرة ولابد من التوعية للحفاظ على البيئة».

وبشأن تحصيل الرسوم، أفاد عبد الرحيم، «أفق جديد»، أن المحلية تفرض حوالي ألفي جنيه في اليوم على المحلات التجارية، لكنها لا تغطي تكلفة مشروع النظافة، خاصة وأن المحلية تصرف 500 جالون جازولين أسبوعيًا لعربات نقل النفايات بالإضافة إلى دفع استحقاقات العمالة.

من جهتها قالت مدير المشروع الفني لأعمال نظافة المحلية، حفصة محمد علي، إن العربات المعطلة تتم معاينتها بواسطة لجنة، ومن ثم تحديد إذا كانت تقبل الصيانة أم تخضع إلى الإحلال والإبدال بالعربات الجديدة.

وأشارت حفصة في حديثها لـ«أفق جديد»، إن المحلات التجارية في شارع كسلا والميناء البري بمدينة عطبرة أصبحت كثيرة جدا وتحتاج إلى جهود كبيرة لنقل النفايات.

وأضافت: «المواطن أصبح يرمي الأوساخ على الأسفلت وهذه عادة سيئة، ومواطن ولاية نهر النيل لم يكن لديه مثل هذا السلوك واعتبرتها ثقافة وافدة من العاصمة الخرطوم».

وأوضحت حفصة أن «المحلية ستشرع في وضع براميل وسلال نفايات على الطريق لوضع النفايات بداخلها».

واسترسلت بالقول إن المكبات التي خصصتها المحلية داخل المدينة صغيرة وغير عملية، وتحتاج إلى عربات ضاغطة لحمل النفايات إلى المحارق الكبيرة.

ابتسامة تتحدى المحن.. تتطلع لهزيمة الإحن

حزمة ضوء

التقرير يتحدث عن معاناة الطفلة «فيحاء» وأسرتها في مخيم النازحين بمدينة كوستي. تعاني فيحاء من مشكلات في الصمام وثقب في القلب، وكان من المقرر إجراء عملية جراحية لها قبل اندلاع الحرب. على لسان والدها الزبير بن العوام، يرسم التقرير معالم الأسى الذي حل بالأسرة وفقدهم ممتلكاتهم ودخولهم في متاهة العلاج التي تحتاج الكثير من المال، كما يروي من مدخل آخر معاناتهم في مخيم النازحين، ويبرز التحديات الصحية التي تواجهها الطفلة.

زوايـــا

- اندلاع الحرب في العاصمة الخرطوم وكيف أثر بشكل مباشر على حياة الزبير وأسرته في المسعودية.
- قوات الدعم السريع بدأت تضع نقاط تفتيش وتنهب الممتلكات وتعتدي على المواطنين في منطقة المسعودية.
- مغادرة القرية والانتقال إلى الجزيرة أبا ثم إلى معسكر إيواء بمدينة كوستي، قبل تعرض الوالد ورفيقه للاعتداء من قبل قوات الدعم السريع، ونهب ممتلكاتهم.

- الزبير يسعى لإجراء عملية جراحية لابنته فيحاء في الهند، بكلفة باهظة فيما تحتاج فيحاء إلى زيارة المستشفى كل 01 أيام، وحالتها الصحية متدهورة، لكنها رغم كل شيء تظل مبتسمة ومتفائلة.

كوستي- راشد أوشي

داخل مُخيم بائس يضم آلاف النازحين بمدينة كوستي، تحاول الطفلة «فيحاء» الركض خلف الأطفال مع أقرانها، لكن قلبها الصغير يخذلها فتشعر بالتعب.

حاول والدها إنزالها من حضنه لتقف أمامي لالتقاط صورة، لكنها رفضت وتعلقت بثيابه. يقول الزبير بن العوام، والد فيحاء لـ«أفق جديد»، وهو يشيح بوجهه محاولا كبت دمعة برقت في عينيه: «في ذات الشهر الذي اندلعت فيه الحرب كُنّا سنجري عملية جراحية لقلب فيحاء، فالفتاة المرحة تعاني من مشكلات في الصمام وثقب في القلب..».

صمت الرجل وهو يُغالب دمعته ويبدى حُزنًا وقلقًا بالغين على صغيرته. عندما طلبت من «فيحاء» أن تقف لالتقاط صورة، ناشدتني أن أعطيها الهاتف، فناولته إياها، أمسكته بيدها الصغيرة وبدأت في فتح تطبيقات الألعاب وهي فرحة بما تشاهد. يقول الزبير: «رغم صغر سنها إلا انها ذكية ولمّاحة وتُحب الذهاب إلى رياض الأطفال داخل معسكر الإيواء الذي نقيم بداخله».

لم يكن الزبير يعلم لماذا اندلعت الحرب في 15 أبريل 2023 وفي شهر رمضان وفي قلب العاصمة الخرطوم.. لم يكن يفقه شيئًا في السياسة ولكن كان يسوس حياته ويبذل قصارى جهده لتوفير لقمة العيش الحلال لأسرته ومتابعة حالة ابنته المريضة.. لم يكن الزبير يتصور أن يكون من ضحايا أبريل بشكل مباشر، وأن تدفع صغيرته ثمن قرار إشعال المعركة وإحالة حياته إلى جحيم لا يُطاق. يقول: «بعد أسابيع معدودة من بداية الحرب شوهدت عناصر لقوات الدعم السريع وهي تتجول داخل منطقة «المسعودية» حيث يسكن مواطنون بسطاء يذهبون يوميًا إلى العاصمة الخرطوم للبحث عن لقمة العيش. بمرور الوقت بدأت قوات الدعم السريع تضع نقاطًا للتفتيش، ونهب أي شيء ثمين بحوزة أي شخص، والاعتداء على المواطنين الأبرياء بالسياط وخراطيش المياه السوداء، مع توجيه الإساءات العنصرية. هذه القوات المُدججة بالسلاح بدأت تتوغل داخل المنطقة وتسرق المنازل» يقول الزبير: أدركت حينها أننا في مواجهة قوات غاشمة لن ترحمنا فقررت أن أغادر القرية، واتجهت إلى الجزيرة أبا وأقمت مع أهلي لفترة قصيرة قبل أن انتقل إلى معسكر إيواء بمدينة كوستي.

وبعد إقامة قصيرة في معسكر الإيواء قرر الزبير السفر إلى قريته فاعترضت قوة مسلحة تتبع للدعم السريع طريقهم وهددتهم بإطلاق الرصاص واعتدت بالضرب على رفيقه ونهبت حافلته وتركته مرميًا في مكانه «ولم يكن قادرًا على المشي لفترة أسبوع ولا تزال آثار الضرب موجودة على ركبته» كما يقول. «لاحقًا علمت أن قوات الدعم السريع في المنطقة نهبت ممتلكاتي وقلاب تراب أملكه وكل أثاث منزلي». وتابع، «كل ما يهمني حاليا إجراء عملية جراحية لطفلتي فيحاء في الهند وتبلغ تكلفتها حوالي 8 آلاف و800 دولار». وزاد: «معاناة فيحاء مستمرة ومضطر لأخذها إلى المستشفى كل 10 أيام وحالتها الصحية متدهورة، لكنها رغم ذلك تبتسم وتضحك دائما».

"خمسة طيبة".. لهيب يلسع القرى ويمتد الى جوبا

مدخل

التقرير يسلط الضوء على تصاعد العنف والاحتقان العرقي في السودان وجنوب السودان، ويدعو إلى تدخل المثقفين والفنانين لتهدئة الوضع وتعزيز التعايش السلمي. قتل ما لا يقل عن 16 شخصًا خلال المظاهرات في جنوب السودان، إثر تداعيات حوادث عنف في ولاية الجزيرة. مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان أفاد بوجود أدلة على ارتكاب جرائم حرب في السودان، فيما حذر المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان فولكر تورك من تصاعد العنف العرقي في السودان.

اتجاهات

• هجمات جديدة: في هجوم وقع في 01 يناير، قُتل 8 مدنيين في كمبو طيبة واختطف 31 امرأة ورجل واحد.

• هجمات طائرات بدون طيار: أفادت التقارير بمقتل 021 مدنياً وإصابة العشرات في هجمات بطائرات بدون طيار في مدينة أم درمان.

• الشرطة في جنوب السودان: أعلنت الشرطة أنها أنقذت 0992 سوداني في مراكز الشرطة المختلفة في جوبا.

• تصعيد العنف: حدثت أعمال عنف وانتقام إثر مقتل مواطنين من جنوب السودان في ولاية الجزيرة.

كيف يسهم مثقفو السودان وجنوب السودان في خفض حدة الاحتقان وتخفيف غلواء الكراهية في المنعطف الحربي الأشد ضراوة؟

في الأسبوع الماضي وثّق مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان مقتل ما لا يقل عن 21 شخصاً في هجومين فقط في ولاية الجزيرة، على الرغم من أن العدد الفعلي للهجمات التي استهدفت المدنيين وعدد القتلى المدنيين من المرجح أن يكون أعلى من ذلك بكثير.

وإثر موجة العنف حذر المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان فولكر تورك من أن صراع السودان يتخذ منعطفا أكثر خطورة بالنسبة للمدنيين، مذكراً بأن الهجمات ذات الطابع العرقي «أضحت شائعة بشكل متزايد».

ووصف تورك الوضع بأنه يائس، مشيراً لوجود أدلة على ارتكاب جرائم حرب وفظائع أخرى، معربا عن خشيته من أن الأمور باتت تتجه إلى منعطف أكثر خطورة.

ففي هجوم وقع في 10 يناير/كانون الثاني، قُتل ما لا يقل عن ثمانية مدنيين في كمبو طيبة، واختطف ما لا يقل عن 13 امرأة ورجل واحد. وأُحرقت المنازل، ونُهبت الماشية والمحاصيل وغيرها من الممتلكات، وتشردت عشرات الأسر. وفي اليوم التالي، قُتل ما لا يقل عن 13 مدنياً، بينهم صبيان، في هجوم على كمبو خمسة.

وتشير التقارير إلى أن الهجمات نفذتها قوات درع السودان بقيادة أبو عاقلة كيكل، القائد السابق لقوات الدعم السريع الذي انشق في أكتوبر/تشرين الأول من العام الماضي وانضم إلى القوات المسلحة السودانية.

عدد السودانيين الذين قتلوا خلال المظاهرات ارتفع إلى

16

شخصا حسبما أعلنت الشرطة في جنوب السودان

وأشار تورك إلى تأكيد السلطات السودانية على أن هذه الهجمات، التي جاءت في سياق استعادة القوات المسلحة السودانية لمدينة ود مدني، سوف تخضع للتحقيق الكامل، وأن المسؤولين عنها سوف يقدمون للعدالة، كما تم تشكيل لجنة تحقيق.

وأضاف تورك: «إن الهجمات الانتقامية على مجتمعات بأكملها على أساس الهوية والعرق في تزايد، وكذلك خطاب الكراهية والتحريض على العنف»، منادياً بوضع حد لها على وجه السرعة.

وقالت المفوضية إنها تلقت ثلاثة مقاطع فيديو توثق مشاهد العنف، بما في ذلك عمليات القتل غير القانونية، التي تم تجريد الضحايا فيها من آدميتهم. وبحسب ما ورد تم تصوير مقاطع الفيديو في ود مدني، مع وجود رجال يرتدون زي القوات المسلحة السودانية بشكل واضح.

وفي حادث منفصل، أفادت تقارير بمقتل نحو 120 مدنياً وإصابة أكثر من 150 آخرين في هجمات بطائرات

بدون طيار في 13 يناير/ كانون الثاني في مدينة أم درمان، يُزعم أن القوات المسلحة السودانية شنتها على سوق في منطقة دار السلام، بأمبدة، وهي المنطقة التي تسيطر عليها قوات الدعم السريع.

وقال تورك «إن القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع مسؤولة عن تصرفات الجماعات والأفراد الذين يقاتلون نيابة عنها»، منبها لضرورة اتخاذ تدابير فورية من قبلهما لضمان حماية جميع المدنيين، بما في ذلك اتخاذ جميع التدابير الممكنة لتجنب أو على الأقل تقليل الضرر الذي يلحق بالمدنيين أثناء سير الأعمال العدائية». وأضاف المفوض السامي أن إجراء تحقيقات سريعة ومستقلة ونزيهة وشفافة في جميع التقارير المتعلقة بالانتهاكات والتجاوزات أمر بالغ الأهمية.

في هجوم العاشر من يناير قُتل ما لا يقل عن

8

مدنيين في كمبو طيبة واختطف ما لا يقل عن

13

امرأة ورجل واحد حسب المفوضية الأممية لحقوق الإنسان

في الأثناء أعلنت الشرطة في جنوب السودان أن عدد السودانيين الذين قتلوا خلال المظاهرات العنيفة ارتفع إلى 16 شخصا.

وأكد المتحدث باسم الشرطة في جنوب السودان، العقيد جون كاسارا كوانق نيال أن الوفيات حدثت في أربع ولايات؛ في وسط الاستوائية، شمال بحر الغزال، غرب بحر الغزال، وأعالي النيل.

وقال المتحدث إن الشرطة أنقذت 2990 سوداني يبحثون الآن عن المأوى والحماية في مراكز الشرطة المختلفة في جوبا.

واندلعت أحداث العنف في جنوب السودان إثر عمليات تحريض للثأر من مقتل مواطنين من جنوب السودان في ولاية الجزيرة. وتسببت مقاطع فيديو مروعة من ود مدني، في أعمال شغب بجوبا، عندما خرج مجموعة من المواطنين الغاضبين إلى الشوارع للاحتجاج على الأحداث، حيث حاول بعضهم نهب وتدمير المحلات التجارية المملوكة لمواطنين سودانيين.

إلى ذلك أصدر مثقفون ومجموعة من الصحفيين والفنانين في جمهوريَّة السُّودان وجمهوريَّة جنوب السُّودان بياناً مشتركاً حول حالة حقوق الإنسان والعنف ضد المدنيِّين أعربوا خلاله عن بالغ قلقهم وأسفهم إزاء الانتهاكات الخطيرة الَّتي طالت المدنيِّين الأبرياء في عدد من المدن، بما في ذلك مدنيّ بجمهوريَّة السُّودان، وجوبا

في دار السلام أفادت التقارير بمقتل نحو

120

مدنياً الأسبوع الماضي وإصابة العشرات

وأويل بجمهوريَّة جنوب السُّودان، مؤكِّدين رفضهم المطلق للعنف بكافَّة أشكاله، سواء أكان موجَّهًا ضد مدنيِّين على أساس انتماءاتهم العرقيَّة أو الدِّينيَّة، أو تمثَّل في استهداف ممتلكات الأبرياء والتُّجَّار.

ويمضي البيان: «إنَّ هذه الأعمال المشينة تمثِّل انتهاكًا صارخًا للكرامة الإنسانيَّة، وتتناقض مع المواثيق الدَّوليَّة لحقوق الإنسان، بما في ذلك الميثاق الأفريقيّ لحقوق الإنسان والشُّعوب»

ونوه البيان إلى التَّقارير الموثوقة حول وقوع أحداث مأساويَّة في مدينة مدنيّ، حيث تعرَّض مدنيُّون من جمهوريَّة جنوب السُّودان لاعتداءات ممنهجة، «وهو ما يمثِّل انتهاكًا خطيرًا لحقوق الإنسان»، وفي المقابل، «تفيد تقارير أخرى بوقوع اعتداءات من متفلِّتين على ممتلكات التُّجَّار والمقيمين السُّودانيِّين في مدن جوبا وأويل، ممَّا يفاقم التَّوتُّرات ويهدِّد العلاقات بين الشَّعبين».

وأدان البيان بأشدِّ العبارات هذه الممارسات التي وصفها بغير الإنسانيَّة، محذِّراً من أنَّ «استهداف المدنيِّين على أسس عرقيَّة أو دينيَّة أو قوميَّة يعيدنا إلى صفحات مؤلمة من تاريخنا المشترك، حيث تسبَّبت العنصريَّة والعنصريَّة المضادَّة في مآس جسيمة لكلا البلدين. إنَّ استمرار هذه الممارسات يهدِّد التَّعايش السِّلميَّ ويضعف فرص التَّعاون والاستقرار في المنطقة»، داعياً حكومتي جمهوريَّة السُّودان وجمهوريَّة جنوب السُّودان إلى تحمُّل مسؤوليَّاتهما الكاملة في حماية جميع المدنيِّين، وضمان عدم تكرار هذه الانتهاكات مستقبلاً.

أعلنت الشرطة في جنوب السودان أنها أنقذت

2990

سوداني في مراكز الشرطة المختلفة في جوبا

كما طالب بإجراء تحقيقات عاجلة وشفَّافة ومستقلَّة بشأن هذه الأحداث، وتقديم المسؤولين عنها إلى العدالة وفقًا للمعايير الدَّوليَّة لحقوق الإنسان والقانون الإنسانيِّ الدَّوليِّ، مؤكِّداً على أهمِّيَّة تعزيز سيادة القانون وتطبيقه بعدالة وإنصاف لضمان سلامة وأمن جميع المواطنين والمقيمين في كلا البلدين، ومنع تكرار مثل هذه الاعتداءات.

مذابح ودمدني و"الذاكرة السمكية"

النـور حمـد

عتبة أولى

● النسيان الجماعي: يتحدث المقال عن كيفية استغلال الأنظمة السياسية للنسيان الجماعي للتجارب السيئة للسيطرة على عقول العامة.

● المجازر والجرائم: يتناول المقال عدة مجازر وجرائم ارتكبتها نظام الحكم السابق في السودان، بدءًا من إعدام الضباط في عام 1989، مرورًا بمجزرة العيلفون في 1998، وحرب دارفور في 2003، وصولًا إلى مجازر ما بعد ثورة ديسمبر 2018.

اتجـاهات

• الذاكرة السمكية: يشير المقال إلى كيف أن الذاكرة الجماعية القصيرة تسهم في تكرار نفس الأخطاء والمآسي، مما يجعل الأنظمة تستغل الكوارث والأزمات لخلق حالة من الحنين إلى الوضع السابق.

• التحكم في عقول العامة: يوضح المقال كيف أن الأنظمة تستخدم الكوارث والأزمات لخلق حالة من الحنين إلى الوضع السابق، وكيف أن الذاكرة الجماعية القصيرة تسهم في تكرار نفس الأخطاء والمآسي.

قديمًا قالوا: «كلُّ تجربةٍ لا تُورثُ حكمةً تكرِّرُ نفسَها». فالنسيان السريع للتجارب السيئة التي ينبغي أن تورث حكمةً وعبرةً، ونسيانها حيث يجب استحضارها، أمرٌ شائعٌ وسط جميع الناس. وهذا هو ما تعتمد عليه الجمعيات السرية، والأنظمة السياسية الماكرة، من ديكتاتوريةٍ، بل ومن ديمقراطيةٍ، لنسج المكائد والدسائس والمؤامرات للتحكم في عقول العامة. فإذا ثار شعبٌ ضد نظامٍ ما، بسبب سوء الأحوال، يقوم النظام بخلق كارثةٍ أضخم تجعله يحن إلى وضعه السابق الذي شكا منه. هكذا تفعل الأنظمة الأمنوقراطية للسيطرة على عقول العوام، وسوقهم كقطعان السوائم. هذه الخطة كثيرًا ما تنجح، ولا يبين مكر مدبريها، بل قد يتحولون إلى أبطال، في نظر الجمهور. وعمومًا، فإن أساليب السيطرة على عقول العامة والتحكم في رودود أفعالها، كثيرة للغاية. وقد كُتبت فيها مئاتُ الكتب، وآلاف الأوراق العلمية.

من مجزرة الضباط إلى مذابح ودمدني

أعدم نظام الكيزان، في أول عام له في الحكم، 28 ضابطًا، كانوا قد قاموا بمحاولة انقلابية ضده. تفاوض معهم النظام لكي يسلِّموا أسلحتهم ويستسلموا، مقابل منحهم الأمان، ووعدهم بمحاكماتٍ عادلة، فصدقوا واستسلموا. لكن، ما أن استسلموا غدر بهم، وساقهم بلا محاكمات إلى غرب أمدرمان حيث قُتلوا ورُميت جثثهم في حفرةٍ ضخمة. وكان إصابات بعضهم، في ذلك القتل العشوائي، غير مميتة، فجرى دفنهم وهم أحياءٌ يئنون. عقب ذلك جعلوا آليات الحفر الثقيلة تسير بجنازيرها فوق تلك الحفرة. وقد اعترف بقتل هؤلاء الضباط ، نائب الرئيس البشير، علي عثمان محمد طه في كلمةٍ متلفزة.

في الثاني من أبريل 1998، جرت مجزرةٌ أخرى في قرية العيلفون، جنوب شرقي العاصمة السودانية الخرطوم. كان ضحايا هذه المجزرة شبانٌ صغار السن، جيء بهم قسرًا لمعسكرٍ للدفاع الشعبي. طالب هؤلاء الشباب إدارة المعسكر منحهم عطلةً ليومٍ أو يومين ليحضروا العيد مع ذويهم. لكنَّ إدارة المعسكر رفضت طلبهم، فحاولوا الهروب. فما كان من إدارة المعسكر إلا أن أطلقت عليهم النيران، فغرقوا بالعشرات في مياه النيل الأزرق، الذي يقع المعسكر على ضفته الشرقية.

في عام 2003، اشتعلت حرب دارفور، فاستأجرت حكومة الكيزان الزعيم القبلي، موسى هلال، ومعه علي كوشيب، وغيرهم، فعاثوا في أهل دارفور قتلاً وتشريدًا. كما حرقوا القرى ومسحوها من وجه الأرض. وقد قدَّرت المنظمات الدولية أن من قُتلوا في تلك المجازر يبلغ 300 ألف. أما الذين أصبحوا

يعيشون في المعسكرات فيفوق عددهم المليونين. وهذا العدد من الضحايا ليس سوى جزءٍ من عددٍ أكبر جرى قتله، من قبل في جنوب السودان، ومن بعد في جبال النوبة، والنيل الأزرق.

في عام 2013، اشتعلت انتفاضةٌ شعبيةٌ قويةٌ ضد نظام الكيزان، فواجهوها بالرصاص الحي المُصوَّب بدقة إلى رؤوس المتظاهرين وصدورهم، وبلغ عدد الضحايا المئات. وإلى جانب كل ذلك، كان المعارضون للنظام من الرجال والنساء، طيلة فترة حكم الكيزان الممتد من 1989 وإلى 2019، يُعتقلون ويُهانون ويعذَّبون بأخس الأساليب وأبشعها، بل ويُغتصبون. كما أحيانًا يُقتلون بدمٍ باردٍ، وهم في المعتقلات، ويجري إخفاء جثثهم أو رميها كيفما اتفق.

مجازر ما بعد الثورة

منذ أن اشتعلت ثورة ديسمبر 2018 واجهها نظام الكيزان بعنفٍ مفرط. فما من مظاهرةٍ سلميةٍ خرجت إلا وجرى قتل بعض ممن قاموا بها. ثم حدثت المذبحة الكبرى التي جرت في فض اعتصام القيادة العامة. دبَّر تلك المذبحة الكيزان وجيشهم، وجرت تحت سمعهم وبصرهم. في تلك المذبحة البشعة، جرى قتل مئات من المعتصمين بالرصاص الحي. كما جرى إلقاء بعضهم في النيل الأزرق وهم أحياء، مع شد الوثاق على اليدين والقدمين، وربط الأجساد إلى أثقالٍ خرسانية، لكي يموت الشبان غرقًا، ولكيلا لا تطفو جثثهم بعد موتهم إلى السطح. لكن الجثث طفت وانفضحت الجريمة. وبعد انقلاب البرهان على الوثيقة الدستورية في 25 أكتوبر 2021، استمر قتل الشبان والشابات قنصًا من على أسطح البنايات، وبالدهس بسيارات الشرطة وقوى الأمن. كما استمر حملات الاعتقال والتعذيب والاغتصاب.

كان غرض البرهان والكيزان من إشعال الحرب الجارية الآن، هو قطع الطريق على الاتفاق الإطاري، وسحق قوات الدعم السريع التي وقفت معه. وأهم من ذلك، قلب الطاولة على الجميع. ونقل الناس إلى مربع جديدٍ، اعتمادًا على قصر ذاكرة الجماهير، وتلاشيً تأثير الفظائع من الأذهان. فشلت خطة القضاء على قوات الدعم السريع في مدة قصيرة. فاتجه البرهان والكيزان إلى الاستثمار في التجاوزات التي حدثت من جانب قوات الدعم السريع. حشدت الآلة الإعلامية الكيزانية الضخمة جهودها لشيطنة قوات الدعم السريع، حتى نسي كثيرون من هم الكيزان وماذا فعلوا عبر أكثر من ثلاثين عامًا. بل، نسوا أن هناك ثورة سعت لإزاحتهم من السلطة. اشترى كثيرون صورة الدعم السريع التي رسمها لهم الكيزان، ونسوا صورة الدعم السريع الأولى، الزاهية، التي رسمها له الكيزان أنفسهم، حين كانوا على وفاق معهم. وأشرطة الفيديو في كيل المدح لقوات الدعم السريع من قبل الكيزان والكوزات، على قفا من يشيل. عقب إشعال الحرب والفشل في حسمها لجأوا إلى الاستنفار، وتسليح المدنيين. ورفع البرهان والكيزان شعار، «جيشٌ واحد شعبٌ واحد»، وشعار أن هذه الحرب، «حرب كرامة». فاشترى كثيرون، ومن بينهم مثقفون، هذه الفرية المفضوحة.

هل فهمنا بعد؟

جاءت استعادة مدني لتؤكد لمن لا يزالون يحتاجون لتأكيد، الطبيعة الوحشية الأصلية للكيزان. فالكوز مهما تظاهر بالتمدن، لا يملك، بحكم نشأته، إلا أن يعود إلى طبيعته الافتراسية الأولى. بعد يومين أو ثلاثة من استعادة المدينة، امتلأت وسائط التواصل الاجتماعي بالفيديوهات التي صوَّر فيها متطرفو الكيزان المرضى، فظاعاتهم. صوَّروا أنفسهم وهم يرفعون رؤوسًا مفصولة عن أجسادها، وأميرهم يحثهم على قطع المزيد. كما صوَّروا أنفسهم وهم يبقرون بطن امرأة حامل، وكذلك، وهم يلقون بشخص إلى النيل الأزرق من فوق كبري حنتوب، ثم وهم يلاحقونه بوابل من رصاص بنادقهم ليسقط ميتًا في مياه النهر. أيضًا، صوَّروا أنفسهم في حوش فسيح مليء بالجثث لمن أعدموهم جزافًا، وربما لكي يتسلى هؤلاء المرضى النفسيون. وهذا ليس سوى غيضٍ من فيض.

ما جرى في ود مدني ليس سوى المقدمة لحكم الكيزان الثاني، الذي سيسرفون، أكثر من أي وقتٍ مضى، في القتل والطغيان والفساد. وإذا، لا قدر الله، أمسك البرهان ومن ورائه الكيزان، بمقاليد الأمور من جديد، فسوف يقولون لعمر البشير: «إنت بتعرف شنو». لقد أظهرت فظائع ودمدني حقيقة «جيشنا» المزعوم، وحقيقة «شعبنا» المزعوم. كما أظهرت زيف اللُّحمة المزعومة الرابطة بينهما. وأهم من ذلك، أظهرت ذاكرةً جمعيةً سمكيةً، حوَّلت أكثريتنا إلى قطيعٍ من السوائم. فبعد ثورةٍ خلبت ألباب العالم بسلميَّتها، جاءت فظائع ودمدني لتَسِمَنَا كأمة: برِقَّةِ الدين، وبالتَّوحُّش، والنذالةِ، وانعدام الشرفِ والمروءة، وخواء العقول، وخلو القلوب من الرأفة والرحمة. لعنة الله على الكيزان أينما ثُقفوا، وعلى كل من شايعهم، ومالأهم، وزيَّن لهم خواء عقولهم، وخراب نفوسهم، أو لزم الصمت تجاه باطلهم الصراح، خوفًا، أو طمعًا.

"الكنابي".. فم لا يتكلم وقلب مفطور

ملخص

تحقيق ميداني أعقاب أحداث كمبو خمسة. يسرد العمل الصحفي معاناة سكان الكنابي من التهميش والتمييز، وحالة الخوف والتوجس التي يعيشون فيها جراء الأحداث الأخيرة. مارس النظام السابق والحكومات المتعاقبة تهميشًا متعمدًا ضد هذه المجاميع السكانية، ودمغتهم بأنهم موالون للحركات. ينفي بعض من نقل عنهم التقرير من سكان الكنابي انضمام شبابهم للدعم السريع بشكل جماعي، ويؤكدون أن أي انضمام هو تصرف فردي.

نقاط رئيسية

- المطالب والحقوق: سكان الكنابي يطالبون بحقوقهم في السكن والخدمات الأساسية، ويشعرون بأنهم مجرد أصوات تُستغل في موسم الانتخابات دون تحقيق وعود حقيقية.
- الإحساس بالخوف والعدوانية: يشعر بعض السكان بالخوف والعدوانية من قوات مشحونة ضدهم، ويشعرون بأنهم بلا حماية من الدولة.
- التحقيقات والتصفيات: تحقيقات محدودة حول الغنائم والانتهاكات، مع تصفيات واسعة في مدينة ودمدني والكنابي.
- الدعوة للتدخل: طلبات من السكان للدولة للتدخل وضرورة التصدي للتصعيد والجنوح.

هي أقرب إلى الأكواخ منها للمنازل، متراصة تنعدم فيها سبل الحياة. كان دخولنا إليها عبارة عن معجزة فأهل «الكمبو» - مفرد كلمة «الكنابي» التي تصدرت مشهد الأحداث في الأيام الماضيات - متحفزين للغاية ويدققون في هوية كل من يريد الولوج إلى داخل هذه المستعمرة، التي لا تبعد عن إحدى مدن ولاية الجزيرة سوى كيلومترات معدودة، بعض الصبية يلهون، ثيابهم بالية، وعيونهم شاخصة، وتكاد أن تحسب عظام صدورهم البارزة من أثر الجوع البائن في كل شيء، استفسرناهم عن منزل من نقصد.. واضح من طريقة إجاباتهم على سؤالنا أن تلقينًا أو قل تدريبًا تم لهولاء الأطفال، عن كيف يجيبون على الغرباء، بعد حوار أقرب للتحري قاده هولاء الصبية الذين لا يتعدى عمر أكبرهم السنوات العشر إلا بقليل عن ماذا نريد منه، طالبونا بالبقاء في مكاننا، اختفوا داخل أحد المنازل، بضع دقائق مرت ليخرج إلينا عدد من الرجال، وبدأت موجة ثانية من التحري، حول مهمتنا، ولماذا أتينا إليهم وكيف وصلنا إلى هنا في ظل هذه الظروف، كان الخوف والتوجس مسيطرًا على هولاء الناس، اختلفوا فيما بينهم بعضهم يريدنا أن نكمل مهمتنا ونعكس وجهة نظرهم والآخر يرانا بداية لشر مستطير سيحل بهم.

كل شيء هنا يحدثك عن المأساة: الخوف، الجوع، التوجس، قسوة الحياة، والارتياب في كل شيء، والعبارة التي تجري على لسان كل من تحدثنا إليه، ما هو مصيرنا وبماذا تنصحنا، هل ننزح قبل أن تصل إلينا القوات المسلحة، أم نبقى في منازلنا وننتظر ماذا سيحل بنا.

كان ذلك السؤال قاتلًا لي أولًا لأني لا أملك له إجابة، وثانيًا لأن القوات المسلحة التي أدى ضباطها وأفرادها القسم على حماية المواطن والحفاظ على أمنه باتت مصدر رعب، واسمها يبعث على الخوف في النفوس. في نقاشنا الأول الذي سمح لنا بموجبه أن ندخل إلى الكمبو، اتفقنا على أن لا نصور، وأن لا نورد أي إشارة تدل على هذه المنطقة، لذا كل الأسماء التي سترد في هذه القصة هي مستعارة، لشخوص هم أحياء في انتظار الموت، أو موتى بتشبثون بالحياة.

جسم غريب:

سكان (الكنابي) في ولاية الجزيرة هم مجموعات

تعداد سكان الكنابي يبلغ حوالي

2.373.524

نسمة موزعين على

2095

كمبو على امتداد قرى الجزيرة البالغ عددها

1572

قرية

من مختلف الإثنيات، لا يمكن أن تجيرهم لصالح فئة أو جغرافيا محددة، فيهم من تنحدر أصوله من غرب السودان، وبهم من ينحدر من قبائل تنتمي إلى جنوب السودان، ومن بينهم من لا يعرف غير الوسط قبيلة، يعانون من حقوق المواطنة المتساوية والحرمان من الحق في السكن الإنساني اللائق، كما تمتد معاناتهم من عدم توفير الخدمات من مياه صالحة للشرب وكهرباء، ومؤسسات تعليمية في المراحل المختلفة، ومؤسسات صحية وغيرها.

فهم لا يملكون المنازل التي يسكنونها بشكل قانوني، إذ لا يوجد ورق يثبت ملكيتك للأرض التي ولد والدك عليها وحبت أمك في ترابها، مما يعني إنك مهدد بالطرد في أي لحظة، يعاملك سكان القرى أو المدن المجاورة كغريب لا يحق لك حتى الضحك بصورة عالية، هكذا يقول محدثنا من كمبو «اكس» «نعم أولادنا يدرسون في مدارسهم، وفي بعض الأحيان يجاملوننا في مناسباتنا، ولكن عمرهم لم يحسسوننا بأننا جزء من نسيج هذه الولاية، ولا لها ننتمي، رغم إن بعض أولادنا تعلموا، والبعض الآخر اشترى «حواشات» في المشروع، ولكن لم نستطع انتزاع اعتراف المجتمع، فمهما ارتفع مقامك علمًا أو مالًا تظل ابن الكمبو»، لذا الكثير من أبناء الكنابي بحسب محدثنا «الذين يفتحها الله عليهم يهجروا الكمبو ويذهبون ليأسسوا حياتهم بعيدًا عن الجزيرة».

ويقول الصحافي حسين سعد في تقرير نشره في العام 2022، مسلطًا الضوء على قضية الكنابي من وقت مبكر «لم تؤدِّ النهضة الاقتصادية التي شهدتها ولاية الجزيرة إلى تغيير اجتماعي، وذلك يعود لعدم اتباع سياسة تحديثية للمجتمع التقليدي، وعدم إفساح المجال للتغيير الاجتماعي حتى لا يحدث تطور في أساليب حياة السكان المعيشية، في رؤاهم وأفكارهم، فيقاوموا سياسة الخضوع التام، ويطالبوا بزيادة نصيبهم من الأرباح، وقد نجحت هذه السياسة في تحقيق هدفها، وقد قامت تلك السياسة على دعائم (3) هي الإبقاء على الصفوة التقليدية التي كانت سائدة قبل المشروع، كما عمدت الإدارة من خلال علاقات الإنتاج تحديداً لوضع الحساب لعدم ظهور طبقة رأسمالية حديثة».

ولأهالي الجزيرة اعتداد خاص لكونهم يقطنون المنطقة التي يعمرها المشروع، ويعتبرون أنفسهم طبقًا لذلك من ذوي الحظوة إذا ما قُورنوا برصفائهم في بقية مناطق السودان. وقد عبر عن هذا الشعور أحد أعلام الجزيرة الشيخ محمد عبد الله الوالي في مقال له نشرته جريدة الجزيرة في عددها (380) في العام (1960) حيث ذكر: (إن سكان الجزيرة إذا قورنوا بإخوانهم سكان أرياف السودان الأخرى لكانوا محظوظين، أولاً لأن آباءهم قد اختاروا لسكنهم هذه المنطقة التي تتوسط السودان المستوية الأرض الخصبة التربة الواقعة بين فرعي النيل الأزرق والأبيض. وثانياً لأن ظروف منطقتهم هذه قد رشحتها ليقوم فيها هذا المشروع العظيم، الذي كان ولا يزال أهم مشروع اقتصادي بالبلاد).

عدد الكنابي التي تعرضت لانتهاكات يصل إلى

150

طبقاً للأمين العام لمؤتمر الكنابي

ويقول صديق المنصوري، سبعيني من كمبو «اكس» الذي زرناه، وصلت إلى هذه المنطقة وأنا عمري لا يتعدى الثمانية عشرة عامًا، عملت بمعظم تفاتيش المشروع وتنقلت بينها، أحفظ الجزيرة «كنار كنار» و«ترعة ترعة»، فأنا أنتمي لفئة العمال في المشروع. وبضيف معلوم أن هذه الفئة تسهم بما لا يقل عن (75%) في العملية الإنتاجية مقارنة بمساهمة المزارعين بمختلف فئاتهم التي تبلغ (25%)، وإذا وزعت العائد الإنتاجي فنصيب العمال الزراعيين في أفضل حالاته لا يتعدى 15%، بينما يذهب متبقي العائد إلى ملاك الأرض، وهم الحكومة والمزارعون.

ويمضي قائلًا: «عملت في المشروع حتى تقاعدت. لم نكن سابقًا نعرف شيئًا عن الحقوق يا ابني، فنحن بالكاد نكتب اسمنا، ولكن الآن الأولاد اتعلموا، وطلعوا وشافوا ولا يرضيهم حالنا الذي عشنا فيه ولا يريدون لأبنائهم أن يعيشوا كما عيشناهم نحن، فنقمة الحكومة علينا ليست جديدة، فمنذ النظام السابق بدأت الدولة تتحرش بنا وبأبنائنا، اعتقلوا في العام 2018 عددًا منهم، وظللنا موضع اتهام لأهل القرى التي حولنا، وفسروا مطالبتنا بامتلاك المنازل التي نقيم فيها جريمة رغم أن الأرض أرض حكومية، وهم سودانيون ونحن سودانيون ومن حقنا الأساسي أن نمتلك منازلنا».

إهمال متعمد:

تشكل القوى العاملة بمشروع الجزيرة نسبة (7%) من جملة القوى العاملة في السودان، وتشكل

العمالة الأسرية (30%)، والمحلية (17%)، والوافدة نسبة (53%) منها حوالي (20%) عمالة خاصة بجني محصول القطن، بحسب التقارير الاقتصادية لبرنامج التحديث والتعمير لسنة 1982.

ظلت وضعية الكنابي وسكانها محل إهمال من الحكومات المتعاقبة، ولكن النظام البائد مارس على بعض سكانها تهميشاً متعمداً، ودمغ بعضهم بأنهم موالون لحركات الكفاح المسلح من دارفور، ومارس عليهم تضييقاً جعل بعضهم يترك الجزيرة ويهاجر للعاصمة بحثاً عن الأمان والاستقرار، وحاولت محلية الكاملين تنفيذ مشروع تجميع سكان (الكنابي) في مجمع وتشييد قرى نموذجية تتوفر بها الخدمات الضرورية، وفي انتخابات 2010م و2015م مارس النظام المخلوع ألاعيب ماكرة على سكان (الكنابي) من خلال التلاعب بمطالبهم وربطها بالتصويت لحزبه -المؤتمر الوطني المحلول- وقتها، حيث تم جمع عدد ضخم من مواطني (الكنابي) بإحدى المحليات وتمت دعوة رجال المال والأعمال والغرف الصناعية والتجارية لتسويق فكرة المجمع السكني والتبرع لتشييده، وحصولهم على قطعة أرض سكنية، لكن الحقيقة المرة أن المشروع لم ينفذ.

محامو الطوارئ: ما استطعنا توثيقه بالأسماء هو 23 شخصًا ضحايا لأحداث كمبو خمسة بينهم طفلان، وعدد من النساء

فم لا يتكلم:

«الشعور بالتهميش والإقصاء هو المسيطر علينا، وعلى كل من عاش هنا، نعاني من العنصرية، والتهميش في كل مناحي الحياة»، هكذا يقول خالد أبو يوسف من كمبو «اكس»، ويتابع: «نحن عبارة عن فم يجب أن لا يتكلم، ويد خلقت فقط من أجل أن تعمل في الأرض لصالح الغير، هم يريدوننا أن نكون كذلك، يتذكروننا عند الانتخابات والتجمعات الجماهيرية ببضع رغيفات وقليل من الجنيهات، يستغلون جهلنا وحوجتنا لخدمة أغراضهم»، ويضيف، في حديثه لـ«أفق جديد» «الآن نحن موضع اتهام بمولاة الدعم السريع، فقط لأننا لا نملك أموالًا مثلهم لننزح، النزوح يا سيدي رفاهية لا يملكها كل الناس». يقاطعه عبد الرحيم الذي كان يجلس أمامنا على سجادة صلاة، عارضًا مقطع فيديو يتحدث فيه شخص ملتح، يتزيًا بزي القوات المسلحة، مهددًا من أسماهم بالمتعاونين في المناطق التي لم يصلها الجيش، قائلًا «شوف شوف، بهددونا كيف، لماذا يتهمونا وحدنا بمولاة الدعم السريع، لأن الدعم السريع لم ينهب ممتلكاتنا؟ ماذا ينهب منا الدعم السريع؟ وماذا سيجد في منازلنا لينهبه؟». ويردف متسائلًا «هل نهب الدعم السريع رفاعة، هل نهب منازل تمبول والحصاحيصا، لماذا لم يتهمنوهم؟ هل لأننا ننتمي إلى مناطق ليست من الشمال والوسط؟». عند هذه النقطة أشار إليه المنصوري، ذلكم الرجل السبعيني الذي يجد التقدير من الجميع، طالبًا منه الصمت.

حديث عبد الرحيم ومطالبة المنصوري له بالصمت وترت الأجواء قليلًا. طلبت منهم الحديث بحرية كاملة فأنا هنا لا أمثل الشمال ولا الوسط، وإنما جئت لأعكس قضية، تهللت أساريرهم وبعدها بدأوا في الحديث، مؤكدين أن الدعم السريع هو الجهة الوحيدة التي تعاطفت معهم، في هذه الحرب، ومسك دفة الحديث أبو يوسف ليقول: «نغم تعاطف أفراد الدعم السريع معنا، مدونا بالدقيق والعدس، وأحيانًا الماء عندما ينقطع. لم نرَ منهم مكروهًا مثلنا والعديد من قرى الجزيرة، أسألوهم ولينطقوا بالحقيقة إن كانوا يستطيعون كل قرى الجزيرة هذه إلا تلك التي ناصبت القوات العداء؛ جميعها كانت تنال حصتها من الدقيق والعدس والمكرونة، نعم هناك حوادث سرقات حدثت ولكنها كانت معزولة، وتتم من بعض المتفلتين لقليل من المنازل»، ويردف «الجزيرة فيها آلاف القرى ومعظمها كانت تحت سيطرة الدعم السريع، كم هي القرى التي حدثت فيها مشاكل، ثلاثة أربعة، قل عشرة قرى، ماذا تمثل من آلاف القرى التي عاشت وتعايشت مع الدعم السريع». ويختم حديثه بالقول: «يا عزيزي هناك الكثير من الأكاذيب في هذه الحرب سيأتي اليوم الذي سيكتشفها فيه الناس».

عالجته بسؤال: لهذا انضم شبابكم كمقاتلين في الدعم السريع؟ فانتفض كل الموجودين في وجهي نافين أن يكون شباب الكنابي انضموا للدعم السريع، وأمسك المنصوري بالحديث قائلًا: «يا ابني إطلاق الكلام بهذه الطريقة فيه مجافاة للواقع، لا يوجد توجه أو توجيه لأبناء الكنابي بالانضمام للدعم السريع، وإن حدث ذلك فذلك تصرف فردي يحسب على فاعله لا المجموع، وإذا نظرت لتشكيلة قوات الدعم السريع قبل انسلاخ أبو عاقلة كيكل، ستجد أن جميع قبائل الجزيرة كانت في الدعم السريع، إضافة إلى الارتكازات التي شكلها وسلحها الدعم

السريع من أبناء القرى لحمايتها من «الشفشافة»، ولكن أستطيع أن أقول لك إن أبناء الكنابي حتى في تلك الفترة هم الأقل عددًا في الانضمام للدعم السريع، لأننا لم نكن محتاجين لارتكازات تحمينا من الشفشافة والحرامية، لأن هولاء يعلمون أن في منازلنا لا يوجد ما يسرقونه، فلا رجالنا يمتلكون المال والعربات، ولا للنساء عندنا نصيب من الذهب».

تعداد سكان الكنابي وفق إحصائيات قامت بها مجموعة من ناشطين سياسيين وحقوقيين من قيادات مؤتمر الكنابي، وبعض المنظمات الدولية الحقوقية، يبلغ 2.373.524 نسمة موزعين على كنابي عددها 2095 كمبو، منتشرة على امتداد محليات الولاية، بينما يبلغ عدد قرى الجزيرة أجمع 1572 قرية، صار إنسان الكمبو مجرد صوت تتهافت عليه القوى السياسية في موسم الانتخابات مقابل وعود لا ترى النور، وكان لابد من وقف هذا التردي ومسح الصورة السلبية والمفاهيم الخاطئة عن إنسان الكنابي، من أجل أن يحتل مكانته الطبيعية في المجتمع مثل سائر التكوينات المجتمعية، والتعامل بالبعد الإنساني مع قضية انسان الكنابي من أجل إزالة الفوارق الاجتماعية المتوهمة وتوفير الحد الأدنى من المطلوبات في الخدمات، كالمياه النظيفة والكهرباء وصحة بيئة وعلاج وتوفير وسائل الانتقال والمواصلات، خاصة في فترة الخريف، حيث يتعذر الوصول إلى المستشفيات في الحالات الطارئة، غير إن ذلك لم يحدث بل أضيف إليه الآن أن وضع بفعل بعض الناشطين غير المسؤولين في عين العاصفة.

الخوف الميسطر:

وفيما تبين من خلال جلستنا مع سكان «كمبو اكس» أن الإحساس بالخوف مسيطر، ويشعرون إنهم الآن باتوا هدفًا وبلا حماية من الدولة في

مواجهة قوات مشحونة ضدهم، ومطلقة اليد لا تخشى العقاب. يؤكد الزين النعمة، وهو أحد قيادات المزارعين بمنطقة غرب الجزيرة - امتداد المناقل، عدم حدوث أي انتهاكات في الكنابي ويقول لـ«أفق جديد» قاطعًا بأنه لا يوجد كمبو واحد انتهكت حرمته في امتداد المناقل، ويضيف: «بعد نزوح المواطنين من قراهم هجم بعض سكان الكنابي على المنازل من أجل النهب والسلب، ورغم ذلك فإن عناصر الجيش السوداني التي وصلت إلى مناطق قوز الرهيد، والهدى، والذاكرين لم تعتدِ على سكان تلك الكنابي مطلقًا». ويزيد: «أنا التقيت عددًا من المقاتلين والمستنفرين، وأبلغوني بأن الكنابي مكدسة بغنائم الحرب الخاصة بالمواطنين، ولكن ليس من شأنهم التحقيق حول تلك الغنائم ومن أين جاءت»، غير أن الناطق الرسمي باسم تحالف مزارعي الجزيرة والمناقل فاروق رحمة، لا يرى وجود أي ضمانات لعدم تكرار الحوادث التي شهدتها بعض كنابي شرق الجزيرة في مناطق أخرى، مطالبًا الدولة بضرورة التدخل، داعيًا في الوقت ذاته الجهات التي تتحدث باسم مركزية مؤتمر الكنابي، التي يطالب أمينها العام بالتحشيد لحرب ضد سكان الجزيرة، إلى تخفيف التصعيد والجنوح إلى التهدئة.

وقال فاروق رحمة لـ«أفق جديد» أن قضية الكنابي من القضايا المعقدة جدًا من القديم، نسبة لأن علاقات الإنتاج داخل مشروع الجزيرة تم تعقيدها بحزمة قوانين فرضت شكلًا جديدًا من علاقات الشراكة مع العمال المزارعين. وبمضي فاروق رحمة قائلًا لـ«أفق جديد»: «تحالف المزارعين جسم مطلبي، كان يقر ويطالب بحقوق أهل الكنابي قبل الحرب، ولا يزال في موقفه الداعم لسكان الكنابي»، مؤكدًا أن «ما جرى في كمبو طيبة بشرق الجزيرة، وكمبو الشكابة جنوب الجزيرة، يعود إلى أن بالكنابي متعاونين مثلها مثل عدد من القرى، وتم التعامل مع جميع المتعاونين بعنف».

وبدوره يقول الأمين العام لمؤتمر الكنابي، جعفر محمدين، لـ«أفق جديد» أن عدد الكنابي التي تعرضت لانتهاكات يصل إلى 150، موزعة على مختلف محليات ولاية الجزيرة، ويردف «هذا ما استطعنا أن نحصيه، ولكن العدد غير معروف على وجه الدقة نسبة لانقطاع شبكات الاتصال في معظم المناطق».

ويضيف: «الانتهاكات متفاوتة بين كمبو لآخر، لكن أفظع تلك الانتهاكات التي تمت تحت سمع وبصر القوات المسلحة ما قام به المستنفرون وقوات كيكل في شرق الجزيرة، والمجازر التي تمت في كمبو طيبة، وكمبو دار السلام الحديبة، وكمبو 16 وحي التضامن في مدينة أم القري والقرية 3».

غير أن الزين النعمة يعتبر مؤتمر الكنابي واقف بشكل صريح مع الدعم السريع، وبالتالي كل ما يُدلي به من معلومات لا يمكن أخذه على الجدية والمصداقية، ويذهب النعمة إلى القول إن 40 % من سكان الكنابي ينتمون إلى حركة تحرير السودان، بقيادة الطاهر حجر.

ويضيف النعمة: «الجزيرة أوت سكان الكنابي عندما واجهتهم ظروف التصحر والجفاف في العام 1984 والحروب في تشاد. إذا أوى الناس في الجزيرة هؤلاء بذلك الضعف فكيف يتم الاعتداء عليهم الآن؟». ويقول إن علاقة سكان الجزيرة بأهل الكنابي تخطت أنهم عمال غيط، وأصبحوا أصحاب أملاك وعربات، ويشترون الحواشات ويستأجرون الأراضي الزراعية».

ويقدم النعمة صورة للعلاقة التي تجمع أهل كنابي بسكان غرب المناقل قائلًا: «الحياة بين الناس وصلت إلى مرحلة الإخاء والمرح والمزاح، والعلاقات تطورت إلى أن وصلت إلى النقاش في الشؤون الخاصة». ويقول: «المجرم ليس شرطًا أن يكون من القرية أو الكمبو، والغرض من الفتنة الحالية هي لفت الأنظار عمن دعم (التمرد) وحمل السلاح معه».

وهي الرواية التي يعارضها حديث كل من التقيناهم من أبناء كمبو خمسة أو طيبة، إذ يقولون إن العلاقة بينهم ومحيطهم ظلت متوترة منذ فترة ليست بالقصيرة، فأبناء الكمبو ظلوا محط اتهام في كل حادثة سرقة أو غيرها من الحوادث في المنطقة، بل منذ عهد النظام السابق ظلت الأجهزة الأمنية تنظر لهم باعتبارهم موالين لحركات دارفور المسلحة. ويقول المواطن عبد اللطيف، وهو واحد من أبناء كمبو خمسة المهاجرين خارج السودان، أن الصور التي تبثها بعض وسائل الإعلام والصفحات المحسوبة على الإسلاميين على وسائل التواصل الاجتماعي، وتحاول أن تقول من خلالها إن كل شيء على ما يرام هي مجرد تضليل، فالأوضاع في الكنابي جميعها لا كمبو طيبة فقط متوترة وقابلة للانفجار في أي لحظة، وأن المحيط متربص بأهل الكنابي، ودعا عبد اللطيف الدولة لحماية أبناء الكنابي.

ويروي مواطن آخر ما جرى في الكمبو المنكوب خلال الأحداث التي وقعت يوم الجمعة العاشر من يناير، قائلًا: «كنا جميعًا نترقب دخول الجيش إلى مدينة ود مدني بعد أن تواترت الأنباء بسيطرته

على منطقة أم القرى، لم نكن نتوقع ما حدث قط، لأن الذى سيطر على أم القرى في تقديرنا هو جيش الدولة، وجيش الدولة هو من يفترض فيه حماية السكان، وإعمال القانون ضد من يرى إنه ارتكب خطأ خلال فترة سيطرة الدعم السريع، ولكن فوجئنا بأرتال من العربات المدججة بالسلاح بعضها يحمل شارات قوات درع السودان تقتحم الكمبو، وتطلق النار بعشوائية وتحرق المنازل، حالة من الهلع سيطرت على السكان وباتوا يهربون إلى غير هدى، عاثت تلك القوة خرابًا في المنازل، قتل على الفور ما لا يقل عن 17 شخصًا بينهم طفلان، تم حرق منزلهم وهم بداخله، وعدد من النساء أيضًا». ويمضى المواطن الذي نتحفظ على ذكر اسمه نافيًا بشكل قاطع أن يكون هناك مسلحون داخل الكمبو، والدليل رغم أن الهجوم استمر لزمن طويل، لم يطلق أي من مواطني الكمبو رصاصة واحدة تجاه القوات المهاجمة، فقد كانوا عزلًا.

ويضيف: «كانوا يصيحون بعبارات قبيحة ويطالبوننا بأن نذهب إلى مناطقنا الأصلية، بحسب فهمهم، ويرددون الجزيرة ليست دارفور، اذهبوا إلى دارفور، وغيرها من العبارات التي يعف اللسان عن قولها».

ويعضد الأمين العام لمؤتمر الكنابي، جعفر محمدين، في إفاداته لـ«أفق جديد» ما ذهب إليه السكان من اتهام لقوات درع السودان. ويقول: «درع البطانة أو درع السودان تاريخيًا تأسس بعد اتفاقية السلام، واصلًا تأسيسه تم ضد سكان الكنابي، وهنالك أدلة عديدة على ذلك». وطبقًا لمحمدين إن قائد درع السودان كيكل، في العديد من المؤتمرات كان يتهم أبناء الكنابي بالانتماء للحركات المسلحة، بل تحدث عن تسليح أبناء الكنابي بواسطة الحركات المسلحة، وهذه كلها كانت محاولات منه لشيطنة أبناء الكنابي ومن ثم ضربهم. للأسف، كيكل كان مستهدفًا مجتمعات الكنابي بالسودان منذ تأسيس الدرع البطانة.

ويضيف: «للأسف كيكل حتى عندما كان مع الدعامة، كان يرتكب القتل تجاة سكان الكنابي بدعوى موالتهم للدعم السريع، وهو من روج لهذه الفكرة وكان نتاجها ما يجري الآن من تصفيات لهولاء البسطاء العزل، الذين قدموا حتى الآن أكثر من 100 شهيد، وهناك 120 مفقود لا يعلم مصيرهم، هذا ما استطعنا إحصاءه وهناك العديد من الكنابي فقدنا تواصلنا معها ولا ندري ما الذي جرى بشأنها».

ويقول محمدين: «هنالك نزوح كبير جدًا من القرى والكنابي، بالذات تلك التي في مواجهة محاور القتال. جزء منهم نزح إلى المناقل، وإلى

القري الكبيرة في شرق مدينتي الفاو وحلفا الجديدة بأعداد كبيرة جدًا، في أوضاع سيئة جدًا، يفتقدون أدنى مقومات الحياة في ظل فصل الشتاء».

ولا تختلف إجابة محمدين بشأن انضمام أبناء الكنابي للدعم السريع عن ما أدلى به سابقوه من السكان وهو يقول: «هذا الحديث عار من الصحة وغير صحيح، الغرض منه ضرب إنسان الكنابي وقيادات مركزية مؤتمر الكنابي، هناك خطابات مضروبة تم الترويج لها من قبل دولة النهر والبحر بقيادة عبدالرحمن عمسيب، للأسف هنالك بيانات كثيرًا جداً تم النفي ولكن ظلوا يروجون لهذا الخطابات المضروبة. هذا الهجوم يعكس مدي الحقد والكره تجاة مكونات الكنابي، ونحن في مركزية مؤتمر الكنابي نحمل مسؤولية الأحداث للذين روجوا هذه الادعاءات الكاذبة بقيادة بعض النشطاء المحسوبين على المشتركة، فالكثير منهم روج لهذه الأكاذيب قبل الأحداث، فهم أيضًا جزء من تلك الجرائم التي تمت».

حقول ألغام

كشفت عضوة «محامو الطوارئ»، رحاب المبارك، أن الدعم السريع ارتكب جريمة جديدة في الجزيرة، وقتل العشرات في أم الخيران، بعد هجومه على هذه القرية، كذلك ارتكب الدعم السريع جرائم بزرعه لمجموعة من الألغام في طريق الفاو مدني، خصوصا في الكباري، وهناك عدد من السيارات التي وقعت في حقول ألغام أولها عربة بوكس قتل فيها خمسة أشخاص عند كوبري الشريف يعقوب، فالدعم السريع زرع الألغام في المنطقة.

قوائم التصفية:

وتنقل عضوة «محامو الطوارئ»، رحاب المبارك، القضية إلى محاميل أخرى، وتقول رحاب لـ«أفق جديد»: «إن ما جرى عقب دخول الجيش إلى مدينة ود مدني، وبالأخص في كمبو خمسة طيبة، هو جريمة تتوفر فيها كل عناصر التطهير العرقي. القصد الواضح من الجريمة هو التخلص من مجموعات سكانية يعتقد من ارتكب الجريمة إنها كانت تشكل له مصدرًا للازعاج، وأصبح ضحية لهذه الجريمة العشرات من الناس».

وتضيف رحاب: «لا يوجد إحصاء دقيق لضحايا كمبو خمسة طيبة، ولكن ما استطعنا توثيقه بالأسماء هو 23 شخصًا بينهم طفلان، وعدد من النساء، قتلوا حرقًا».

وتقول عضوة «محامو الطوارئ» في إفادتها لـ«أفق جديد»: «لم تكتفِ القوات التي دخلت إلى مدني بجريمة كمبو خمسة، وإنما وسعت انتهاكاتها في كل منطقة دخلتها في الجزيرة، خاصة مدينة ود مدني، التي شهدت تصفيات واسعة، واستطعنا توثيق 15 فيديو شملت جرائم فظيعة من الذبح وقطع الرؤوس وبقر البطون، وهناك العديد من المفقودين الذين لا يعرف مصيرهم بعد أن اعتقلتهم القوات». الجرائم - طبقًا لرحاب - ليست قاصرة على الكنابي فقط، وإنما الكثير من سكان المدينة الذين لم يستطيعوا الخروج تعرضوا للتنكيل الفظيع من قبل كتائب الحركة الإسلامية البراء بن مالك وغيرها، إلى جانب درع البطانة».

وتمضي إلى القول: «قبل دخول مدينة ودمدني نشرت بعض القوائم باعتبارهم مهددين بالتصفية، وكنا حينها بين الشك واليقين من صدقية تلك التهديدات وجديتها، غير إن الوقائع بعد ذلك أكدت جدية تلك التهديدات، حيث ثبت أن التصفيات التي تتم وفقًا لتلك القوائم، إذ تم إعدام 3 من أبناء المدينة، شقيقان وابن خالهم، ووجدناهم يحملون الأرقام 9، 12، 15، بالإضافة إلى ثبوت تصفية الشخص الأول في القائمة المتداولة»، وهذا يدلل - طبقًا لرحاب - على أن الحركة الإسلامية تقوم بتصفية خصومها.

وتقول رحاب: «الجميع شاهد عشرات الفيديوهات، وشخصيًا وصلني ما لا يقل عن 15 فيديو كلها تؤكد انتهاكات قامت بها كتائب الإسلاميين، وكتائب البراء من جرائم فظيعة شملت القتل والذبح وبقر البطون، إضافة إلى قطع الرؤوس هذا كله تم في الأسبوع الماضي، وهناك مجموعات كبيرة جدًا تم اعتقالها وضربها، وهناك مجموعات يعتقد أنها تمت تصفيتها.. هذه الجريمة لم تطل من هم في الكنابي فقط، هناك مجموعات كبيرة من الموجودين في مدني تمت تصفيتهم». وتواصل رحاب قائلة: «هناك جرائم فظيعة جدًا ارتكبتها كتيبة درع السودان التي تتبع لكيكل، وهذه الكتيبة نكلت بشكل فظيع بالمناطق حول أم القرى».

كرامة جنرالات البشير وديموقراطية آل دقلو!!

رشاد عثمان

فكرة عامة

المقال ينتقد الحرب الدائرة في السودان، مشيرًا إلى أنها تفرض أجندتها على الشعب وتبتلع ملامح ثورة ديسمبر. يشير الكاتب إلى أن كرامة الشعب السوداني قد تمرغت في الوحل منذ انقلاب 1989 وحتى الآن، منتقداً التحالفات الضمنية اللاحقة بين دعاة الدولة المدنية وجنرالات البشير، الذين ارتكبوا جرائم في دارفور وقمعوا الاحتجاجات السلمية.

مرتكزات

• حرب الجنرالات: يصف الكاتب الحرب بأنها حرب الجنرالات والكارتيلات والمليشيات، التي تناسلت من المشروع الحضاري للحركة الإسلامية.

• التدخل الأجنبي: يشير الكاتب إلى أن الجنرالات فتحوا الأبواب أمام قوى أجنبية لتحويل الحرب إلى حرب بالوكالة.

• خطاب الابتزاز: ينتقد الكاتب خطاب الابتزاز والتخوين الذي يستخدمه الجنرالات لتبرير أفعالهم.

• استغلال الجنود: يشير الكاتب إلى استغلال الجنود السودانيين في حروب خارج حدود السودان بذريعة الدفاع عن الحرمين الشريفين.

ليس أشد مضاضة على النفس من رؤية أقذر أنماط البنادق قضيةً، وأحط نماذج الخطاب وأشدها قُبحاً وبدائيةً، وهي تكاد تفرض أجندتها على شعب بأكمله، وتوشك أن تبتلع في ثقبها الأسود ملامح ثورة استثنائية بحجم ثورة ديسمبر.

والمؤسي أن كثيراً ممن كنت أنشد فيهم الرشد، مازالوا يقاربون المحارق والمذابح التي تجري في حواضر وبوادي السودان، باعتبارها حرباً ضرورية، متماهين مع السردية المبتذلة عن «معركة الكرامة» كما تدّعي كذباً عسكرتاريا لجنة البشير الأمنية ناسين - أو متناسين -إن كرامة الشعب السوداني قد تمرغت في الوحل على يد أسلاف هؤلاء الجنرالات منذ ليلة الانقلاب المشؤوم في 30 يونيو 1989 وحتى يوم الناس هذا!!

والأشد ابتذالاً في المقابل هو نمط آخر من دعاة الدولة المدنية وسيادة حكم القانون يتوسلون استعادة الديمقراطية السليبة بالتحالف الضمني مع جذيمي الأصل من إنكشارية البشير الذين أحرقوا قرىً وبلداتٍ بما فيها ومن فيها في بوادي دارفور تحت إمرة جنرالات الجيش وجهاز الأمن قبل أن يستعين بهم السلطان المخلوع في قمع احتجاجات الشباب السلمية في 2013، وفي حماية عرشه المتهالك حتى من إخوته من عسكرتاريا التنظيم، ثم تعميدهم رسمياً وبإجماع تنابلة مجلسهِ «الوطني» كحُماة «للبيضة»، وقبل أن يشاركوا بوحشيتهم المعهودة في سحل المعتصمين أمام بوابات القيادة العامة وأن يلقوا بشباب ثورة ديسمبر مكبلين على الحجارة في قاع النهر القديم!!

المأساة الملهاة التي تجري في السودان لا يمكن توصيفها بغير أنّها حرب الجنرالات والكارتيلات والإنكشارية والمليشيات، التي تناسلت كالفطريّات من رحم المشروع الحضاري للحركة الإسلامية في صراعهم الشبقي على السلطة والثروة والنفوذ. هم ذات الجنرالات الذين اتفقوا قبل أشهر قليلة من اختلافهم على وأد التجربة المتعثرة للحكم المدني - على كل علّاتها - بتدبير انقلابهم المشترك، وهم الجنرالات أنفسهم الذين كانوا يصدرون الأوامر لجنودهم بإطلاق النيران على المتظاهرين من الشباب السوداني ممن كانوا يجوبون شوارع الخرطوم وغيرها من مدن السودان يطالبون بعودة العسكر إلى ثكناتهم وتطهير جسد السودان من دمامل الجنجويد. وهم الجنرالات أنفسهم الذين فتحوا الأبواب على مصارعها أمام قوى أجنبية كي تدخل السودان، وتحوّل الحرب إلى حرب بالوكالة، يقومون بها نيابة عن دول ومحاور لا تنظر إلى السودان إلا بوصفه ضيعةً سائبة وموارد وثروات بلا مالك ولا وجيع. وهم الجنرالات أنفسهم الذين يقودون السودان معصوب الأعين إلى هاوية التقسيم والتفتيت والذبح على الهوية عائدين به إلى عهود حروب القيمان!!

والأنكى من كل ذلك هو الخضوع لخطاب الابتزاز والتخوين المأخوذ عن قاموس «ساحات الفداء» وترهات صحفيي المظاريف عن الخيانة والعمالة والإرتزاق، وكأن هنالك خيانة للوطن أكثر من إشراف جنرالات جيشه على تهريب ثرواته لتصّدر إلى العالم بديباجات دول أخرى لا تعترف لهم حتى بأجر المناولة أو أن ثمة عمالة وارتزاق أكثر من إرسال الجنود السودانيين للقتال خارج حدود السودان بذريعة الدفاع عن الحرمين الشريفين، وكأن الحرب التي حصدت أرواح الآلاف من أطفال اليمن كانت تجري في سفح جبل أُحُد لا في هضاب تعز والحديدة وصنعاء!!

أُرسل هؤلاء الجند تحت إشراف المفتش العام - رئيس مجلس السيادة لاحقاً - مقابل حفنة من الريالات لا تكفي لشراء شئ أكثر قيمة من ذمة البشير وجنرالاته. والمذهل أن هؤلاء ومعهم - كتفاً بكتف - الآلاف من انكشارية الجنجويد مازالوا يواصلون مهمتهم المقدسة كحرس للحدود الجنوبية للمملكة حتى بعد أن وضعت عاصفة الصحراء أوزارها وبعد أن توافق العقلاء على وقفها مُغلَبين مصالح شعوبهم وأوطانهم!!

سيقول التاريخ كلمته في نهاية الأمر مهما تواظبت النكبات وتوالت المآسي. وقد قالها مراراً وتكراراً من قبل «إن في مقدور المستبدين والطغاة أن يُحققوا الكثير بأَسِنةِ الرماح، إلا شيئاً واحداً.. الجلوس عليها»!!

القتل على الهوية.. أيام كالحة في تاريخ السودان

حيدر المكاشفي

ملخص

المقال يتناول موضوع القتل على الهوية في السودان، مسلطًا الضوء على الجرائم البشعة التي ارتكبت ضد سكان الكنابي وغيرهم من المواطنين العزل في ولاية الجزيرة بعد استعادة مدني.

في نقاط

- مسؤولية الدولة: يوضح المقال أن الدولة مسؤولة عن معاملة الأسرى وعدم تعريضهم لأي أذى.
- جرائم الحرب: يتهم المقال حكومة الأمر الواقع وقيادة الجيش بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.
- يشير المقال إلى أحداث تاريخية مشابهة مثل أحداث الاثنين الأسود التي وقعت بعد مقتل جون قرنق في عام 5002، وغزوة أمدرمان التي شنتها حركة العدل والمساواة بقيادة خليل إبراهيم، وحادثة فض الاعتصام البشعة ويعتبرها جريمة مكتملة الأركان.

إنّ الذي حدث في عدة مناطق بولاية الجزيرة بعد استعادة عاصمتها مدني بواسطة الجيش والقوى المتحالفة معه، لهو قتل على الهوية وخارج إطار القانون بكل المقاييس، وفي كل الشرعات والشرائع، ولست هنا بمعرض إعادة صور القتل والتنكيل وبقر البطون والإلقاء في النيل، تلك الصور والفيديوهات الدموية البشعة التي طالت مجموعة من سكان الكنابي وغيرهم من مواطنين عزل، التي تدل على وحشية ولا إنسانية من ولغوا فيها، إذ يكفي الناس ما أصابهم من أذى ونكد وألم عند مشاهدتهم لها في المرة الأولى، ولن نزيد أوجاعهم وأذاهم مرة أخرى، فالقتل وبشاعة التنكيل الذي وقع على هؤلاء المواطنين العزل، يعكس النظرة العصبية المستعلية التي كانت متغلغة في دماء وعروق العرب في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أحق الحق وأبطل الباطل، وقرر أنه لا نصرة لظالم بمشاركته في الظلم لأن الأصل في الشريعة الإسلامية أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وعليه فلا يجوز لأحد من الناس أو جماعة منهم اضطهاد الآخرين بسبب الجنس أو اللون أو الدين أو العرق أو أي سبب كان على النحو الذي حدث في بعض مناطق الجزيرة، لخروج ذلك عن أصول الإسلام، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين، رجلًا من الأنصار - أي ضربه على مؤخرته - فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية» قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة» فقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم العقاب على الهوية بأنها خصلة منتنة وهي عبارة تدعو للتنفير من هذا الأمر، ومن جهة أخرى فإن هؤلاء المواطنين العزل وبافتراض أن هناك شكوك حول دعمهم للمليشيا يعتبروا أسرى بعد القبض عليهم أحياء، فقائد المليشيا نفسه إذا قبض عليه حيا يعتبر أسيرًا فما بالك بهؤلاء المواطنين العزل، والطامة الكبرى أن قتلة هؤلاء المواطنين لم يكتفوا بإزهاق أرواحهم، بل مضوا شوطًا أبعد في الخسة والدناءة بتصوير جثامينهم وعرضها على الجمهور متفاخرين ومكبرين الله على جرمهم الشنيع الذي حرمه الله، رغم أنهم كانوا أسرى لديهم ورغم ما تكفله كل الشرائع والمواثيق من حقوق للأسرى، إذ توجب كل الشرائع الدينية وعلى رأسها الإسلام والمواثيق الدولية كاتفاقية جنيف بشأن معاملة أسرى الحرب، معاملة إنسانية، تحفظ كرامتهم، وترعى حقوقهم، وتصون إنسانيتهم، حيث يعتبر الأسير من الفئات الضعيفة التي تستحق الشفقة والإحسان والرعاية، كما تقع مسؤوليته على الدولة، لا تحت سلطة الأفراد أو الوحدات العسكرية التي أسرتهم، وبخلاف المسؤوليات الفردية التي قد توجد، تكون الدولة مسؤولة عن المعاملة التي يلقاها الأسير، ويحظر على هذه الدولة أن تقترف أي فعل أو إهمال غير مشروع يسبب موت أسير في عهدتها، ويعتبر انتهاكًا جسيمًا لهذه الاتفاقية، كما لا يجوز تعريض أي أسير حرب للتشويه البدني أو التجارب الطبية أو العلمية من أي نوع كان مما لا تبرره المعالجة الطبية للأسير المعني أو لا يكون في مصلحته، وبالمثل يجب حماية أسرى الحرب في جميع الأوقات، وعلي الأخص ضد جميع أعمال العنف أو التهديد، وضد السباب وفضول الجماهير.. وعطفًا على ما تقدم تكون حكومة الأمر الواقع في بورتسودان وقيادة الجيش هي المسؤولة عن ارتكاب جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية بإعدام هؤلاء الأسرى والتمثيل بهم خارج إطار القانون، وعليه يبقى المطلوب من حكومة الأمر الواقع وقيادة الجيش، أن يكبحوا منسوبيهم ومليشياتهم الغادرة ويلجموها من التعدي على حدود الله والقانون، وقبل ذلك عليهم أن يتحملوا مسؤوليتهم الكاملة عن تلك الجرائم، ولن يعفيهم عن ذلك التبرير بأنها جرائم فردية كما جاء في بيان الجيش، وقد تكرر مثل هذا التبرير الفج كثيرًا من قبل، حيث درجت كل الأجهزة النظامية من جيش وشرطة ومخابرات ومسلحي حركات، على تبرير ما يرتكبه منسوبوها من تجاوزات وتعديات وانتهاكات ضد مواطنين عزل، بأنه تصرف فردي معزول ولا علاقة للمؤسسة به، ثم بعد هذا التبرير الفطير يعلنون على طريقة (عدي من وشك) توقيف المعتدين وإخضاعهم للتحقيق توطئة لمحاكمتهم، وتنتهي القضية عند هذا الحد دون معاقبة المجرمين، ونقول مجرمين لأن ما يرتكبه هؤلاء هو جريمة مكتملة الأركان، بل ومركبة يقاضي عليها القانون العسكري والقانون الجنائي المدني أيضًا، وكانت قد تكاثرت بشكل لافت ومقلق اعتداءات بعض الأفراد النظاميين على المواطنين المدنيين العزل، بل أن الاعتداءات على الأطباء لم تتوقف حتى بعد صدور القانون الذي يوفر الحماية للأطباء، ورغم ذلك كلما وقع اعتداء من نظامي على مدني أعزل، تخرج علينا المؤسسة التي يتبع لها هذا النظامي لتبرر الاعتداء بأنه (تصرف فردي لا علاقة للمؤسسة به)، ومن كثرة ما كررت الأجهزة النظامية هذا المبرر حتى صار بائخًا وغير مبرر وغير مبرئ لذمة الأجهزة النظامية، وهذا ما يفرض على هذه الأجهزة أن تضبط تصرفات أفرادها وفقًا للقانون، وأن تخصص لهم من بين دوراتها التدريبية دورات مكثفة عن حقوق الإنسان، يتعلم فيها النظامي عدم الاعتداء على الكرامة الشخصية، وعلى الأخص المعاملة المهينة والحاطة بالكرامة الإنسانية، ويعرف كيف يصون حياة الناس وسلامتهم البدنية، وأن لا يأخذ القانون بيده حتى في حالة ضبط المجرمين.

الشاهد أن بلادنا عانت في تاريخها القريب عددًا من ارتكاب جرائم على الهوية، نعرض هنا بعضها على سبيل المثال، منها ما عرف اصطلاحًا بـ(احداث الاثنين الأسود)، وكانت هذه الأحداث المأساوية البشعة وقعت في أعقاب مقتل جون قرنق في حادث الطائرة المشهور

منتصف عام 2005، بعد وقت قصير من توقيع اتفاقية نيفاشا وتنصيب قرنق نائبًا للرئيس، وقد أفجع موت قرنق قطاع واسع من الشعب السوداني وليس فقط الإخوة الجنوبيين، ولكن الإخوة الجنوبيين وبسبب صدمتهم من الحادث خرجوا زرافات ووحدانا إلى الشوارع يضربون ويخربون ويحرقون كل ما يلاقيهم ويعتبرونه من الشمال ومن أهل الشمال، وكأن أهل الشمال هم من قتلوه، علمًا بأن الطائرة يوغندية وتحركت من مطار يوغندي ويقودها طاقم يوغندي، وكانت تلك الحشود الضخمة من الجنوبيين المؤيدين لقرنق الذين كانوا قد استقبلوه استقبال الأبطال عندما أصبح نائبًا أول للرئيس، انتشروا في شوارع الخرطوم ملوحين بالسكاكين والقضبان الحديدية ونهبوا المتاجر وأشعلوا الحرائق واشتبكوا مع الشرطة، وكانوا يضربون كل من يرون أنه شمالي أو يشبه العرب، وقتل من جراء هذا الشغب العشرات من المواطنين العزل الأبرياء وحرقت عشرات السيارات والمحال، فاضطرت السلطات لفرض حظر التجوال، ولم تكد الخرطوم تلملم جراحها وتواري قتلاها إذا بغارة أخرى مضادة تندلع في اليوم التالي مباشرة ضد الجنوبيين وكل ما هو جنوبي فيما عرف اصطلاحًا بـ(أحداث يوم الثلاثاء الأسود)، وحدث فيه للجنوبيين ذات الذي حدث منهم للشماليين، وكلا الحادثين الأسودين يندرجان تحت توصيف جرائم مرتكبة على الهوية، كما نذكر أيضًا ما عرف اصطلاحا بـ(غزوة أمدرمان) التي شنتها حركة العدل والمساواة بقيادة خليل إبراهيم الذي اغتيل لاحقًا بضربة صاروخية نالت منه في إحدى مناطق كردفان، فبعد دحر الغزوة عمدت السلطات على إلقاء القبض على كل من يبدو من سحنته أو لهجته أنه من دارفور، واعتباره مجرمًا ونصيرًا ومتعاونًا وطابور خامس وخلية نائمة للعدل والمساواة، كما نذكر على أيام التظاهرات الثورية الحملة الشرسة التي شنتها السلطات الأمنية ضد طلاب دارفور باعتبارهم عملاء وخونة وطابور خامس، ولكن الثوار بوعيهم انتبهوا لهذا الفعل الخسيس وانتجوا الهتاف الشهير (يا عنصري ومغرور كل البلد دارفور)، وغير هذه الأمثلة التي ذكرناها هناك العديد من الأمثلة الأخرى التي تكشف مدى الاستهانة بأرواح الناس وقتلهم بدم بارد خارج إطار القانون، وتقف على رأس هذه الأمثلة ما يمكن تعريفه بالقتل على الهوية السياسية، ونعني حادثة فض الاعتصام البشعة التي ستظل الأكثر سوادًا، وستبقى محفورة في ذاكرة الأجيال تجترها في أسى جيلًا بعد جيل، وستبقى تلك الجريمة النكراء وصمة لا تمحى وعارًا لن يزول على القيادات العسكرية الذين احتمى بسوح قيادتهم العامة وأقاموا اعتصامهم حولها أولئك الشباب والشابات البواسل، لقد كانت عملية فض الاعتصام القذرة، جريمة مكتملة الأركان، خطط لها المجرمون السفاحون بعناية وكانوا في كامل الاستعداد والجاهزية بالسلاح والعتاد، بينما كان الضحايا سلميين ومسالمين عزل، بل كانوا يستشعرون الأمان لكونهم في استجارة من ظنوا إنها قواتهم المسلحة حامية الأرض والعرض، فتخير المجرمون القتلة ساعة السحر حين كان المعتصمون نائمين وهم صيام لتنفيذ جريمتهم البشعة الانتقامية الدموية الشيطانية بلا رحمة ولا وازع من دين ولا أخلاق، وهذا ما يكشف أن هذه الجريمة لم تتم على عجل وإنما بتخطيط وتنسيق وخطة محكمة وتأهيل وتهيئة للمنفذين حتى لا يرأفوا أو تأخذهم شفقة بالمعتصمين. فطاحوا فيهم تقتيلًا وسحلًا ودهسًا واغتصابًا لبعض الحرائر وإلقاء بعض الجثث في مياه النيل وبعض آخر ما يزال في عداد المفقودين لا يعرف حتى الآن إن كانوا أمواتًا فينعون أو أحياء يرجون، كما أن تاريخ النظام البائد القمعي مليء بجرائم القتل والسحل وإزهاق الأرواح، إذ كان القتل هو أسهل الطرق التي كان يستخدمها النظام للبقاء في الحكم والتخلص من الخصوم ودفنهم بليل جماعات وفرادى، ومن هذه الجرائم الجريمة التي اصطلح على تسميتها (مجزرة العيلفون)، هذا غير العديد من جرائم القتل التي ولغ فيها النظام، نذكر منها على سبيل المثال مجزرة بورتسودان التي قتل فيها النظام أكثر من عشرين نفسًا، وحادثة كجبار والأعوج بالنيل الأبيض وغيرها من جرائم القتل واستسهال إزهاق الروح وليس بغريب عليهم ولا جديد الذي حدث في ولاية الجزيرة.

مسيّرات فوق «طاقة» المدنيين

عن قرب

التقرير يسلط الضوء على الأثر الكبير للهجمات بالطائرات المسيرة على البنية التحتية للكهرباء والمياه في السودان، وكيف ينوء كاهل المدنيين دوما بتحمل تبعات الحرب؛ فانقطاع الكهرباء أدى إلى مشكلات كبيرة في إمدادات المياه في ولاية الخرطوم وخروج محطات وآبار النيل عن الخدمة. سكان أم درمان شكوا من العطش من إغلاق المخابز وعدد من القطاعات الفاعلة في الخدمات بسبب الهجمات على سد مروي.

صورة من الداخل

- تعرضت محطة كهرباء دنقلا لهجوم الأسبوع الجاري، مما أدى إلى إتلاف أحد محولات المحطة وانقطاع التيار الكهربائي عن المدينة.
- تتهم وزارة الخارجية السودانية قوات الدعم السريع بمهاجمة محطات الكهرباء والمياه بعدد من الطائرات المسيرة في عدة مناطق.
- الدعم السريع شن هجمات بطائرات بدون طيار كذلك على سد مروي الأسبوع الماضي ما تسبب في انقطاع الكهرباء والمياه في العديد من الولايات.

تسبب هجوم على محطة كهرباء دنقلا الأسبوع الجاري، في إتلاف أحد محولات المحطة، ما تسبب في انقطاع التيار الكهربائي عن المدينة. وفيما لم يصدر أي تعليق من قبل الدعم السريع على الحادثة اتهمت وزارة الخارجية السودانية، السبت الماضي، قوات الدعم السريع بمهاجمة محطات الكهرباء والمياه بعدد من الطائرات المسيرة في عدة مناطق من بينها ولاية القضارف شرقي السودان.

وأسفرت العمليات الأخيرة عن انقطاع التيار الكهربائي عن مناطق واسعة في السودان.

وكانت هجمات بطائرات بدون طيار على منشآت توليد الكهرباء شنتها قوات الدعم السريع قد ألقت بتبعاتها على قسط مقدر من ولايات السودان وتسببت في انقطاع الكهرباء، فيما امتدت مشكلات التيار لولايات القضارف وكسلا وسنار بعد هجوم ليلي على محطة الشوك للكهرباء في شرق البلاد.

وفاقمت انقطاعات للكهرباء والمياه من معاناة المواطنين والنازحين.

وأدى انقطاع الكهرباء إلى مشكلات أخرى في إمداد المياه، كما شكا سكان أم درمان المخابز من إغلاق المخابز وعدد من القطاعات الفاعلة في الخدمات بعد هجوم قوات الدعم السريع على سد مروي الذي يقع على بعد حوالي 350 كيلومترًا شمال الخرطوم، أدى لانقطاع التيار الكهربائي.

وأصدرت ولاية الخرطوم بياناً أشارت خلاله إلى أن انقطاع التيار الكهربائي بشكل كامل أدى إلى أزمة مياه وخروج محطات وآبار النيل عن الخدمة.

من جهتها قالت هيئة مياه ولاية الخرطوم إن مهندسيها يعملون على تنفيذ إجراءات طارئة لتشغيل آبار المياه وإعادة تدفق المياه إلى الشبكة القومية.

تسببت مسيرات الدعم السريع على سد مروي الذي يقع على بعد

350

كيلومترًا شمال الخرطوم في انقطاع التيار الكهربائي عن أجزاء واسعة من البلاد

العدالة يجب أن تُرى

طاهر المعتصم
taherelmuatsim@gmail.com

الصورة البارزة

يشدد المقال على ضرورة احترام العدالة وتنفيذ قرارات المحاكم، مستشهدًا بموقف ونستون تشرشل خلال الحرب العالمية الثانية. يتناول المقال الفظائع والانتهاكات التي ارتكبتها المليشيات المناصرة للجيش السوداني بعد 15 أبريل 2023، مشيرًا إلى مقاطع الفيديو التي توثق هذه الجرائم. ويحذر الكاتب من أن هذه الفظائع قد تؤدي إلى فرض عقوبات دولية على قيادات الجيش السوداني، مشيرًا إلى إمكانية تقديمهم للمحكمة الجنائية الدولية.

مفاتيح القراءة

• دور الشرطة العسكرية والاستخبارات: يوضح المقال أهمية دور الشرطة العسكرية والاستخبارات في منع الانتهاكات، مشيرًا إلى أن تعدد المليشيات وعدم تلقيها التدريبات اللازمة أدى إلى تفاقم الوضع.

• خطاب الكراهية: يتناول المقال حرب خطاب الكراهية والعنصرية التي زادت من حدة الصراع، مشيرًا إلى تجارب مماثلة في رواندا.

• استهداف البنية التحتية: يشير المقال إلى استهداف محطات الكهرباء والمياه والسدود في السودان، مشبهًا الوضع بما حدث في غزة.

امتثل ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني، في حكومة الحرب، لقرار إحدى محاكم لندن، القاضية بمنع تحليق الطائرات العسكرية في محيط المحكمة أثناء ساعات عملها، الذي برره القاضي بتوفير أجواء حسن سير العدالة.

وافق رئيس الوزراء على تنفيذ قرار المحكمة، وعندما رأى تشرشل استغراب وزير الحرب، والدهشة ترتسم على وجهه، قال «خير لبريطانيا أن تخسر الحرب، من أن يهان القضاء فيها، لأن عدم الامتثال لقرار المحكمة، فيه استهانة بقضاء بريطانيا وإهانة له، وهو عار يلحق ببريطانيا، لن يمحوه الزمن أبد الدهر، أما الحرب فإن خسرتها بريطانيا اليوم فسوف تكسبها غداً».

وقد وضع القرآن الكريم أمرا ربانيا في ثامن آيات سورة المائدة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

كان من المأمول من الجيش السوداني، أن لا يجعل المليشيات المناصرة له، تسقطه في الأفعال الفظيعة التي تشابه خصمه بعد 15 أبريل 2023 مليشيا الدعم السريع، التي تسببت في أهوال لبعض من أهل السودان، لم يدركوا أحداث دارفور منذ العام 2003، التي تكررت مرة ثانية أكثر إيلاما، وأودت بقيادات الدعم السريع موارد العقوبات الأمريكية، ودعوات الضحايا في ربوع السودان.

تقدم الجيش بعد معركة (جبل مويه) في ولاية سنار، ثم مدينة الحلفايا بالخرطوم بحري، ظهرت مقاطع فيديو لقتل خارج القانون، ثم اجتياح مدينة ود مدني بعد 13 شهرا من الانسحاب منها، جعل هناك مساحات جغرافية أكبر، مع عدد من المليشيات المناصرة له، وتوثيق للتجاوزات من بعض الأفراد، تكاد تشيب من هولها الولدان، كأن اختفاء العدالة والخبرات والمهارات، جعل الوحشية تنطلق من هنا وهناك، ومقاطع فيديو توثق تلك الفظائع التي تنافي كل الأديان أو القوانين.

كأن من وثق تلك المقاطع يهدف للف حبل العقوبات على قيادات المؤسسة، ليلحقوا بحميدتي وعبدالرحيم وعلي كرتي وأحمد هارون وصلاح قوش ومحمد عطا وطه الحسين والقوني وعثمان عمليات، وخطورة هذه العقوبات والفظائع التي ارتكبت، إنها من الممكن أن تذهب لملفات المحكمة الجنائية.

في العادة تقوم الشرطة العسكرية بدور مهم يمنع وقوع الانتهاكات من الأفراد، تعاونها الاستخبارات العسكرية، لكن حال دون ذلك تعدد المليشيات وعدم تلقيها التدريبات اللازمة لقواعد الاشتباك أو قواعد معاملة الأسرى دع عنك حماية المدنيين، وقد انكشف وجه الدعم السريع عندما وسع مناطق انتشاره واستعان بمليشيات وافراد، فشاهدنا العنف الممنهج والمجازر في الجنينة غرب دارفور وود النورة ولاية الجزيرة، ورغم محاولته تحسين صورته، بتشكيل ما أطلق عليها لجنة مكافحة الظواهر السالبة، وأوكلوا قيادتها لأحد خريجي الكلية الحربية اللواء عصام فضيل، لكن لم تتوقف الانتهاكات حتى لحظة كتابة هذا المقال، بحسب مصادر في منطقة الخيران ريفي أبوقوته ولاية الجزيرة.

بالتوازي هناك حرب أخرى، حرب خطاب الكراهية، والعنصرية، التي لم يوفر طرف جهد في زيادتها، وحاملي الحطب، كأنهم لم يطالعوا ذهاب أرواح 800 ألف في راوندا، وكم ازدحمت المحكمة الجنائية، بمشعلي خطاب الكراهية يتقدمهم مدير إذاعة التلال، ليحاكموا في الدنيا، ويأتوا يوم القيامة حاملي وزر كل من تسببوا في أن يلقى مصرعه.

مع استمرار الحرب في السودان وقرب دخولها عامها الثاني، ما يحدث من استهداف لمحطات الكهرباء والمياه والسدود، ورفض وقفها على غرار وقف إطلاق النار في غزة وانسحاب الجيش الاسرائيلي، الذي دخل حيز التنفيذ صباح أول أمس الأحد، فحق لأهل فلسطين الفرح بآمال انديا السلام، ووقف القصف المجنون، والنزوح واللجوء وجرائم الحرب.

التحدي الأكبر أمام العدالة، فلا يجب أن تختفي، فهي العاصم من أنهر الدماء والحرب القبلية والجهوية والعنصرية، فتشرشل رغم العدوان الخارجي والحرب العالمية، أنفذ قرارات المحكمة.

رديف البرهان.. سيرة غامضة

من؟

تقرير يتناول سيرة رجل الأعمال السوداني الأوكراني عبد الله أحمد خلف الله، وأدواره الغامضة وعلاقته بقيادات الجيش السوداني وصفقات الأسلحة التي تورط فيها، بالإضافة إلى العقوبات الأمريكية المفروضة عليه، وعلى قائد الجيش السوداني عبد الفتاح البرهان.

ماذا؟

- عبد الله أحمد كان وراء صفقات أسلحة مختلفة مع دول مثل أذربيجان وبلاروسيا، وأصبح السمسار الأول لجميع صفقات الأسلحة من بلاروسيا.
- له علاقات وطيدة مع قادة الجيش السوداني وهيئة التصنيع الحربي ومنظومة الصناعات الدفاعية.
- تورط في صفقات أسلحة بملايين الدولارات، بما في ذلك ذخائر وطائرات ومسيرات وقطع مدرعة ومدفعية.
- كان وراء صفقة بيع طائرات 130c الأمريكية الصنع للجيش السوداني.
- استخدم أموال خاضعة للحظر أو العقوبات لشراء الأسلحة للجيش السوداني.

لا تنتهي غرائب ودلالات عقوبات الولايات المتحدة الأمريكية على أطراف الحرب في السودان، أولى هذه العجائب والدلالات أنها صدرت في حق قيادات الحركة الإسلامية من المدنيين قبل قيادات الجيوش المتحاربة، فهي صدرت في حق الأمين العام للحركة علي أحمد كرتي، قبل أن تصدر في حق قائد قوات الدعم السريع الفريق أول محمد حمدان «حميدتي»، وبعدها بأسبوعين صدرت في حق قائد الجيش الفريق أول عبد الفتاح البرهان، غير إن القرار الذي صدر في حق البرهان وضع السوداني الأصل الأوكراني الجنسية، رجل الأعمال عبدالله أحمد خلف الله، رديفًا له في القرار، إلى جانب شركته «بوتريكس تريد ليمتد»، غير أن السودانيين بعد النطق بالقرار طفقوا يبحثون عن الرجل الذي لم يجدوا من سيرته إلا القليل، ومع ذلك كان يشي أن عبدالله كان يتحرك في منطقة حمراء شديدة الخطورة قبل وبعد الثورة.

علاقة عبد الله أحمد، الذي صدرت في حقه عقوبات ضمن قرار عبد الفتاح البرهان، بدأت بقيادات الجيش السوداني قبل سنوات من الإطاحة بالرئيس المخلوع عمر البشير، وكشفت مصادر عليمة أن الرجل كان وراء صفقات سلاح مختلفة من أزربجان وبلاروسيا، وفي سنوات قبل السقوط أصبح السمسار الأول لجميع صفقات الأسلحة من دولة بلاروسيا. وقال مصدر من الجيش طلب حجب اسمه: «الجيش اعتمد على سماسرة مختلفين في توفير السلاح، وبالذات للمدرعات؛ من بينهم مستثمرة صينية، غير أن عبد الله في وقت وجيز أصبح السمسار الأول». وأشار المصدر إلى أن الرجل كان يتحرك في دائرة محدودة داخل الجيش، معنية بالعلاقة مع روسيا ودول دائرة التسليح، ومن بينهم الفريق أول عبد الرحيم محمد حسين، الذي تولى منصب وزير الدفاع في وقت سابق. كذلك له علاقة وطيدة مع قادة هيئة التصنيع الحربي ومنظومة الصناعات الدفاعية، وفي مقدمتهم رئيس المنظومة ميرغني إدريس، الذي صدرت في حقة عقوبات مماثلة، ونائب رئيس منظومة الدفاعات الجيلي تاج الدين أبوشامة، ومستشارها الاقتصادي ومديرها الحالي د. طه حسين. وأشار المصدر إلى أن له صلات وطيدة مع عدد من مديري مكاتب القيادات من الضباط وغالبهم عرف بقربه من الإسلاميين وقيادات النظام البائد.

تقدر أموال منظومة الصناعات الدفاعية بأكثر من

2

مليار دولار قبل الحرب

صفقات بملايين الدولارات

من بين أسباب فرض عقوبات على عبد الله أحمد شراء أسلحة للقوات المسلحة السودانية، وتزامن إعلان العقوبات على البرهان وعبد الله مع نشر عدد من التقارير الصحفية التي تكشف عن أن الجيش تحصل على أسلحة محرمة دوليًا من بينها سلاح كيميائي، وينظر كثيرون إلى هذا التزامن بأنه شديد الصلة بفرض عقوبات على الرجلين، ولكن الأهم الذي ذكرته مصادر متطابقة أن عبد الله ظل سمسارًا رئيسيًا في معظم صفقات الأسلحة من قبل سقوط نظام الإسلاميين، وفي أثناء الحرب الدائرة حاليًا، التي استطاع أن ينجز فيها صفقات بملايين الدولارات، اشتملت على ذخائر وطائرات ومسيرات وقطع مدرعة ومدفعية. وكشف مصدر عن أنه كان منسق جسر إمداد جوي بين بورتسودان وبلاروسيا في الأشهر الأخيرة، وكان الاتصال بينه والبرهان وقيادات في الجيش مباشرًا على الرغم من أن بعض الصفقات تلقى دفعياتها من طرف ثالث أمسك المصدر عن ذكره، ومن بين الصفقات الكبيرة التي كان طرفها عبد الله صفقة بيع ذخائر الكلاشنكوف والدوشكا المصنعة في السودان لصالح الجيش الأوكراني مقابل أسلحة متطورة ومسيرات للجيش، وفي مرات أموال نقدية، وهي صفقات لم يكشف عن تفاصيلها بعد وتحاط بسرية كبيرة.

صفقة الطائرة الأمريكية (130c)

قال ضابط في سلاح طيران الجيش السوداني إن عبد الله كان وراء صفقة بيع طائرات c 130 ، وهي طائرات أمريكية الصنع ذات كفاءة عالية حصل عليها الجيش السوداني في عهد الرئيس نميري من تصنيع شركة « لوكهيد».

لوكهيد شركة أمريكية تأسست في 1912 وتنتج طائرات ذات سمعة جيدة تم شراؤها في 1995 من شركة بريطانية وتحولت إلى شركة بريطانية أمريكية.

وقال ضابط سلاح الطيران: «شاركت هذه الطائرات في حرب جنوب السودان، وكانت الصفقة تتكون من (5) طائرات وتزويد بقطع الغيار وتدريب الطيارين والطواقم الفنية، واستمر هذا الاتفاق إلى وقت طويل».

وأشار إلى أن إحدى هذه الطائرات سقطت في حادثة مطار جوبا في 1990، عندما أصر الفريق عبد الرحيم

محمد حسين أن تغادر إلى جوبا، رغم أن الظروف لم تكن مناسبة، وهبطت في مطار جوبا دون إضاءة كافية لترتطم بشجرة وتحترق، وعلى متنها عدد من جنود وضباط المظلات، وكان في قياداتها الطيار شريف الزين. وكان تحذير الضباط بأن التأمين حول مطار جوبا لم يكن متوفرًا، لذلك يعتقد البعض أنها استهدفت من قوات الجيش الشعبي التي كانت قريبة من مدينة جوبا وقتها. وتحطمت أخرى في مطار رمبيك.

وقال إن عبدالله وعددًا من قادة الجيش قرروا بيع طائرتين من طراز 130 c وفعليًا تم بيعها مع قطع الغيار بمبلغ (14) مليون دولار، وبينما قام رجل الأعمال البلاروسي ببيع طائرة واحدة مع قطع الغيار بمبلغ (50) مليون دولار بحسب ما توفر من معلومات. وأضاف إنهم لا يملكون وثائق للصفقة التي تمت في دائرة ضيقة جدًا.

الوصول إلى أموال محظورة

ورد في قرار الخزانة الامريكية القاضي بفرض عقوبات على السوداني الأوكراني عبدالله أحمد خلف الله، أنه ظل يشتري السلاح للقوات المسلحة السودانية، ولكن هذا ليس هو الجرم وحده، فشراء هذه الأسلحة كان من أموال خاضعة للحظر أو العقوبات كما أعلنت وزارة الخزانة الأمريكية، التي أوردت في نص القرار أنه قام بشراء أسلحة للجيش السوداني من مورّد خاضع للعقوبات، عبر شركة بورتكس تريد ليميتد، ومقرّها في هونغ كونغ التي أدرجت في قائمة الشركات المحظورة بموجب العقوبات الأمريكية.

وعند استفسارنا عن تلك الأموال أو الموارد الخاضعة للعقوبات كشف مصدر مطلع لـ«أفق جديد» أن هذه الأموال تتبع لمنظومة الصناعات الدفاعية نفسها التي بعد فرض عقوبات عليها في العام الماضي حولت كثيرًا من مواردها لصالح شركة «بورتكس ليميتد» التي يملكها عبد الله، إضافة إلى شركة ماستر تكنولوجي التي فرضت عليها عقوبات هي الأخرى وتتبع للجيش، إلى جانب شركات صغيرة وحسابات مصرفية تتبع للشركتين المعاقبتين في يونيو من العام الماضي. وأضاف المصدر: «بعد فرض العقوبات الأمريكية على شركات الجيش، وتتبع وزارة الخزانة الأمريكية وإدارة الأصول الخارجية الأمريكية للحسابات المصرفية والشراكات للشركتين، وبعد فرض عقوبات على رئيس المنظومة ميرغني إدريس، انتقل التعامل والأموال إلى عبد الله أحمد، ولم يكن يعلم أنه مراقب». وأشار المصدر إلى أن منظومة الصناعات الدفاعية تدير أموالها بطريقة غامضة عبر شراكات خفية وتقدر أموالها بأكثر من (2) مليار دولار قبل الحرب .

استثمارات أخرى

خلال وجوده في السودان قبل سقوط نظام عمر البشير حاول عبد الله الدخول في عدد من الاستثمارات مستفيدا من علاقته بقادة الجيش، الذين يسيطرون على مقاليد السلطة في السودان، وفعليًا استثمر في تجارة الذهب مع شركات روسية وأوكرانية ومستثمرين من بلاروسيا.

وعبر علاقته مع قادة الجيش حصل على مساحة واسعة على شارع النيل أطلق عليها نادي الألعاب المائية في منطقة استراتجية لا تبعد كثيرًا عن فندق كورينثيا، أحد أشهر الفنادق في العاصمة الخرطوم، كما كانت له استثمارات عقارية في مناطق راقية في وسط الخرطوم، وفي مناطق تجارية استثمارية حصل عليها عبر تسهيلات كبيرة بعد صفقات سلاح مع قيادات في القوات المسلحة، إضافة إلى أنه كان يستثمر في شركة للإنتاج الإعلامي، أطلق عليها أسم «سومي»، مقرها في المنشية.

قرار مفاجئ

قالت مصادر ذات علاقة بمنظومة الصناعات الدفاعية أن إدارة المنظومة علمت بأمر العقوبات عليها وعلى مديرها ميرغني إدريس من قبل إعلانها من وزارة الخزانة الأمريكية بأشهر، وعملوا ترتيبات لتفادي العقوبات حتى يحصل الجيش على السلاح، وفي سبيل ذلك تعاملوا مع شركات خاصة تتبع لرجال أعمال مقربين من البرهان نشطت في شراء المسيرات وذخائر الطائرات، غير أن التعويل الأكبر كان على عبدالله أحمد لجهة أنه غير معروف وله تعامل مستمر مع جيش، وتم إختيار شركته في هونج كونج لكون أنها بعيدة عن الرقابة الأمريكية لذلك كان القرار مفاجئًا وأربك الكثير من الحسابات على حد قول المصادر.

عقوبات واشنطن.. والتأثيرات المستقبلية

وائـل محجـوب

صورة مقربة

تعكس العقوبات الأخيرة التي فرضتها وزارة الخزانة الأمريكية ضد القائد العام للقوات المسلحة، الفريق أول عبد الفتاح البرهان، تصاعد التوترات الدولية حول الوضع في السودان، بحسب المقال.

زوايـــا

- العقوبات الأخيرة: قرارات وزارة الخزانة الأمريكية هي آخر إجراءات تتم بواسطة إدارة جو بايدن.
- الأطراف المستهدفة: العقوبات تشمل القوات المسلحة، الدعم السريع، والمؤتمر الوطني والحركة الإسلامية.
- رد الفعل: البرهان رفض العقوبات وأعلن عن مواصلة الحرب حتى يتم القضاء على التمرد بشكل كامل.
- التأثيرات المستقبلية: العقوبات ستؤدي إلى تضييق على التعاملات الخارجية السياسية والاقتصادية للأطراف المستهدفة وتزيد من العزلة الخارجية لهم.

● العقوبات الصادرة بحق القائد العام للقوات المسلحة، الفريق أول عبد الفتاح البرهان من قبل وزارة الخزانة الأمريكية، هي آخر إجراءات تتم بواسطة إدارة جو بايدن، المغادر للبيت الأبيض، وهي امتداد لسجل العقوبات الموجهة لأطراف الحرب الذين حددتهم وهم:

- القوات المسلحة.
- الدعم السريع.
- المؤتمر الوطني والحركة الإسلامية.

● وقد شملت قائمة العقوبات من قبل قادة من هذه الجهات الثلاث، وامتدت لتشمل قائد الدعم السريع محمد حمدان دقلو حميدتي بنفسه، في بداية الشهر الحالي.

● واتهمت واشنطن البرهان بتفضيل خيار الحرب على المفاوضات لإنهاء الصراع، واتباع الجيش بقيادته لأساليب حرب تشمل القصف العشوائي للبنية التحتية المدنية، والهجمات على المدارس والأسواق والمستشفيات، والإعدام خارج نطاق القضاء.

● سبق قرار العقوبات، انتشار مقاطع مصورة صادمة على نطاق واسع لجنود يتبعون لقوات نظامية مساندة للجيش، يقومون بالانتقام وبالقتل خارج نطاق القانون، لما أطلق عليهم بالمتعاونين في ولاية الجزيرة بعد تحريرها بواسطة الجيش، وهي تعزز من فرضية الاتهامات الواقعة على القائد العام.

● وكان رد فعل الفريق البرهان رافضًا ومتحديًا للقرارات، وأبدى في مخاطبات تم بثها عدم اكتراثه لها، معلنًا مواصلة الحرب حتى يتم القضاء على التمرد بشكل كامل، ووجه تحذيرات لكل من يوجهون إساءة للسودان بإلقام أفواههم «حجرًا أو صاروخًا».

● لقد قلنا من قبل أن هذه الحرب شهدت تطبيقًا نموذجيًا لكافة الجرائم التي يحظرها القانون الدولي الإنساني، تجاه المدنيين والمرافق المدنية، في مناطق العمليات العسكرية، مثل قصف الطيران الذي يطال المدارس والأسواق والمستشفيات ومصادر الطاقة والخدمات، والتدوين المدفعي العشوائي لمرافق الكهرباء والمياه والمستشفيات والأحياء السكنية للمواطنين، وقتل الأسرى وتعذيبهم والإخفاء القسري للمدنيين، وكلها مخالفات للقانون الدولي الإنساني، وقد دفع المئات من المدنيين حياتهم ثمنًا لها، كما امتدت آثارها الكارثية لتجبر الآلاف على النزوح من مناطقهم، بسبب تدمير المصادر الأساسية للحياة في مناطق واسعة النطاق، وهي جرائم تنعقد مسؤوليتها تضامنيًا على من يرتكبونها من الجنود، وعلى القادة أصحاب السلطة العليا في المؤسسات العسكرية، التي تتبع تسلسلًا هرميًا قياديًا ونظامًا للتقيد الصارم بالتعليمات، من أعلى الهرم لأسفله.

● هذه العقوبات الأخيرة تعكس نفاد صبر لدى الإدارة الامريكية، بسبب تعثر مسار السلام الذي رعته عبر مبادرتها المشتركة مع السعودية، ومحاولة الاختراق الثانية عبر اجتماعات جنيف في أغسطس من العام الماضي، لتحريك ملف المساعدات الإنسانية ووقف إطلاق النار، التي رفض رئيس المجلس السيادي والقائد العام للجيش المشاركة فيها، وعلى الرغم من إبداء الحكومة في بورتسودان استعدادها للتعاطي الإيجابي من خلال إعلان فتح معبر أدري وقتها إلا أن ذلك الغياب اعتبر تفضيلًا للخيار العسكري على خيار السلام.

● هذه العقوبات بمثابة ضوء أخضر للمؤسسات الدولية لتمضي في ذات الطريق، وستقود لتصاعد في الضغط عبر شتى الأدوات، ومنها بعثة تقصي الحقائق المشكلة بواسطة مجلس الأمن حول الانتهاكات التي شهدتها الحرب، وهي لن تكون الأخيرة والمتوقع أن تتبعها عقوبات من الاتحاد الاوربي، مثلما جرت العادة في العقوبات السابقة.

● وعلى الرغم من عدم تأثيرها المباشر على مسار الوضع العسكري المتصاعد حاليًا، إلا أنها ستقود للتضييق على مسار التعاملات الخارجية السياسية والاقتصادية لكل من صدرت عقوبات بحقهم أفرادًا ومؤسسات، ومن ثم التأثير مستقبلًا على مسار التسليح العسكري للمؤسسات التي يقفون على رأسها، وستضفي مزيدًا من العزلة الخارجية، لجهة استجابة عدد من الدول على المستويين الإقليمي والدولي لخطوات واشنطن، وعدم الدخول معها في مواجهات مكشوفة، من خلال التعامل مع من صدرت بحقهم العقوبات.

سؤال المبتدأ، جواب الخبر؟!

أربعينية "محمود"، هل تصبح ميقاتًا لخروج "السودان" من التيه؟!

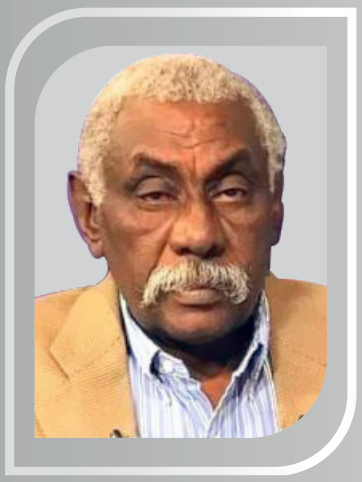

الجميل الفاضل

اتجاهات رئيسية

يشير المقال إلى أن محمود محمد طه يمثل رمزًا للخروج من الراهن السوداني الماثل، ويستعرض حياته ومواقفه البطولية، متحدثاً عن حالة التيه التي يعاني منها السودان، مشبهًا إياه بتيه بني إسرائيل، ويشير إلى ضرورة التحرر من التاريخ المقعد والصراعات الداخلية.

في نقاط

- الثورات السودانية: يستعرض المقال تاريخ الثورات السودانية وكيف أن نخب المركز تمكنت من إجهاض أهدافها وإعادة إنتاج الأوضاع التي ثار الناس ضدها.
- رؤية محمود محمد طه: يوضح المقال رؤية محمود محمد طه للسودان كمركز دائرة الوجود على الكوكب، ودعوته لفهم جديد للإسلام يتناسب مع تحديات العصر.
- التغيير والتحول: يشير المقال إلى أن السودان بحاجة إلى تغيير جذري وتحول في الفكر والسياسة للخروج من التيه وتحقيق التقدم.
- العالم الجديد: يتحدث المقال عن التغيرات العالمية الحالية وكيف أن السودان يمكن أن يكون له دور مهم في هذا العالم الجديد إذا تبنى رؤية محمود محمد طه.

وما أدراك ما التيه؟!
شرط الخروج منه، المعرفة بطريقة التغيير!!

أربعون عاما مضت واليوم أنقضت، على رحيل الأستاذ محمود محمد طه، عن دنيا الناس هذه، شهيدا وصديقا، تحقق بصورة انتقال بديعة للغاية، تحلى فيها بثبات الانفعال، في موقف تهتز له الجبال، متصدقا على أصدقائه وعلى أعدائه أيضا بابتسامة شع سناها كما البرق على كل الوجوه، ثم ارتاض نفسه على مضمار داخلي، للمشي إلى الموت مشيا، لا مكبا على وجهه، بل سويا على صراط مستقيم، مستوفيا كل موجبات وأشراط التعامل مع لحظته الحاضرة الأخيرة، لحظة التقائه بالموت وجها لوجه، بكامل البهاء، والجلال، والجمال.

إذ ليس في الحقيقة ثمة «محمود» آخر إلى الآن على الأقل، نستطيع أن نؤرخ بموته أو بحياته، لرمزية خروجنا من هذا التيه الماثل.

وللحقيقة فإن قصة هذا الرجل مع السودان، قصة لا بداية لها، ولا نهاية.

إنه كما قال د. منصور خالد: «رجل لكل الفصول».

بل ربما لخاصية انتمائه وتأثيره على كل الفصول، فإنه كان أول من قرأ لنا أحوال الطقس والمناخ في السودان قبل حلول فصل الحكم «الإخواني» للبلاد، قارئا لخارطة طريق «الإخوان» إلى السلطة، طارحا «سوفاته السبع» التي مضى «الإخوان المسلمين»، على دربها نعلا بنعل، وحافرا بحافر، ثم لم يستطيعوا، أن يفارقوها رغم حرصهم، قيد أنملة.

قد لبث ستمائة ألف من بنو إسرائيل أربعين سنة يدورون في نطاق ضيق لا يتجاوز، ستة فراسخ، أي نحو ثلاثين ألف كيلو متر.

يجدون المسير مع كل شروق شمس، بيد أنهم متى غربت الشمس، وجدوا أنفسم يراوحون في ذات المكان، الذي منه قد بدأوا المسير.

على أية حال، هكذا كان هو حال السودان أيضا، الذي ظل يدور كثور الرحى في ذات الدائرة الخبيثة والحلقة الجهنمية، انقلاب مستبد، فثورة باهرة، يتبعها انتقال هش، ثم انتخاب لا يمنح حزبا واحدا أغلبية مريحة للحكم، ثم انقلاب تارة أخرى، وهكذا دواليك الكؤوس تدار.

فلا أرضا قطع السودان، ولا ظهرا أبقى لغد، يدور هائما بلا هدى، كالذي يتخبطه المس من الشيطان.

بل ليته كان يمضي فقط، على منوال قاعدة يحرك عليها الجنود أقدامهم، بلا حركة إلى الخلف أو إلى الأمام في المكان، يسمونها «محلك سر».

المهم يفسر أن بني إسرائيل قد تاهوا أربعين سنة، لإخراج جيل فاسد قديم من معادلات الواقع، بغية إفساح المجال أمام جيل جديد مختلف لكي يسود.

هي ذات الغاية التي هتف بعض المتطلعين هنا لأجلها، في أكتوبر (64) بحثا عن تغيير أعمق وأشمل، مرددين: «لا زعامة للقدامى»، و«لا قداسة في السياسة».

رغم أن تيه بنو إسرائيل ربما كان هو أكثر رحمة من تيهنا هذا الكئيب.

إذ لما أشتكى بنو إسرائيل العطش أمر الله موسى أن يضرب الحجر بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، بعدد نقبائهم، ليعرف كل أناس مشربهم، فإن شربوا واكتفوا جف للتو ماء العين التي كانوا منها يشربون، إلى حين حاجة أخرى للماء، وكان طعامهم «المن» الذي يشبه العسل يتنزل عليهم كل حين من السماء، و«السلوى» طائر السمان الذي كلما طلبوه كان حاضرا مطهيا معدا وجاهزا للأكل، فقط شريطة ألا يختزنوا

منه شيء.

وفي هذا التيه كانت لا تطول شعورهم ولا تشعث، ولا تبلى ثيابهم ولا تنجس، تطول الثياب مع نمو صغارهم، وتكبر معهم إذا كبروا.

إذن فالخروج من «تيه السودان» المؤلم، يقتضي هو كذلك أول ما يقتضي، التحرر من كل عقابيل وآثار وتبعات هذا التاريخ المقعد.. تاريخ الصراعات، والحروب الأهلية، والأزمات البنيوية، وكل صراعات نخب المركز العبثية، مدنية وعسكرية.

هذه الصراعات التي فجرت ثلاث ثورات شعبية، امتلكت نخب المركز، وطبقته المخملية، القدرة على إجهاض أهدافها، والالتفاف حولها، لإعادة إنتاج ذات الأوضاع التي ثار الناس ضدها، لندور هكذا، معصوبي العينين بلا تدبر أو توقف، كجمال «العصارة» أو ثيران «الساقية»، في حلقة مفرغة تماما، تؤسس لدورة خبيثة شريرة، أو لحلقة جهنمية كما يقال.

ليبدو وكأن كل ثورة في تاريخنا ما هي إلا بقية معلقة من ثورة سبقتها، لم ينل الناس منها شيئا.

وفي هذا يقول الأستاذ محمود محمد طه عن أولى هذه الثورات، ثورة أكتوبر (64): «ثورة أكتوبر لم تكتمل بعد وإنما تقع في مرحلتين.. نفذت منها المرحلة الأولى، ولا تزال المرحلة الثانية تنتظر ميقاتها، إن المرحلة الثانية من ثورة أكتوبر هي مرحلة الفكر المستحصد العاصف، الذي يتسامى بإرادة التغيير، إلى المستوى الذي يملك معه الشعب المعرفة بطريقة التغيير».

ترى هل بات شعبنا بعد هذه الحرب اللعينة، وبعد أربعين سنة من رحيل مفكره الأستاذ «محمود».. بات أقرب لامتلاك المعرفة بطريقة التغيير، هو سؤال على أية حال؟

لكن تأمل معي كيف كان يقول الأستاذ محمود بإلحاح وبيقين منقطع النظير:

«السودان هو مركز دائرة الوجود على هذا الكوكب، فلا يهولن أحداً هذا القول.

لكون السودان الآن جاهلاً، خاملاً، صغيراً.

فإن عناية الله قد حفظت على أهله من أصايل الطبائع، ما سيجعلهم نقطة التقاء أسباب الأرض، بأسباب السماء».

ثم سؤال رديف ينشأ من قول آخر له أيضا، فمتى ينقلب الرعاة؟!

فإن هنالك عالما جديدا قيد التشكل!!

إذ يلمح الأستاذ محمود محمد طه، في إشارة لطيفة، للسودان وما ينتظره من مجد وسؤدد كوني لاحق، قائلا: «عند منقلب الرعاة، تسبق الشاة العرجاء»؟

فهل ثمة شواهد على أن هؤلاء «الرعاة» باتوا في وارد الانقلاب، الذي من شأنه أن يتيح لشاتنا على عرجها البائن الآن فرصة لتصدر السباق، كما سبق لممالكنا القديمة «كوش ومروي»، من صدارة ومكانة في العالم لا تضاهى؟

علي أية حال، هناك يومان فقط، ويصعد إلى ذروة سنام «البيت الأبيض»، رجل صعب المراس، غريب الأطوار، متقلب المزاج، خبره العالم آنفا لأربع سنوات في تجربة الحكم، هزم خلالها هذا الرجل «ترامب» كافة التوقعات حوله في الماضي، بما يجعل بالطبع التنبوء اليوم بتصرفاته المستقبلية أمر يبدو أيضا شبه مستحيل.

في ظل وجود زعيم جبار آخر، يقود دائما بلا كوابح، يخوض هو حربا ضد أكبر الأحلاف العسكرية في العالم على أرض أوكرانيا المطلة على بوابات أوروبا الشرقية.

في نزوة حرب تحرق «بوتين» شوقا لها، فأحرق بها دولة تعد مخزن حبوب العالم، حرب لا يعرف إلى الآن لها سببا حقيقيا مقنعا؟ ولا إلى أين ستمضي؟ أو إلى متى وكيف؟ وعلى أي نتيجة سوف تنتهي؟

إننا نعيش في عالم يعيش هو حالة مد وجزر عنيف للغاية، تقوضت في خضم عواصفه وأنوائه القوية، أو في طريقها لأن تتقوض على الأقل، غالب قلاع «الإسلام السياسي» في منطقتنا، سنية كانت أم شيعية، تقصفت أجنحتها، فتقلص نفوذها شيئا فشيئا، من طهران مركز «حلف المقاومة» المرتعش حاليا تحت وطأة الضربات الإسرائيلية، تلك الضربات التي نالت من الهيبة الإيرانية ومن رموز حلفها، إلى دمشق الجوهرة التي سقطت من التاج الإيراني بأياد تركية، إلى لبنان التي فقدت المقاومة فيها أدوات نفوذها وتأثيرها فارتخت قبضتها بالفعل، لغياب أقوى زعمائها على الإطلاق حسن نصر الله، وإلى حماس التي أبعد قادتها بقرار أمريكي مذل من الدوحة، انصاعت له في النهاية قطر، ثم إلى صنعاء الحوثية التي لا زال الغرب يلاعبها بمكر يتربص بها الدوائر.

إنّ العالم برمته يغلي حاليا كالمرجل، رماله المجنونة تتحرك اليوم في أكثر من اتجاه، تزخف ليل نهار، تجر خلفها أقداما كبيرة نحو هاوية السقوط، من أعلى نقطة على سطح العالم المترنح وإلى أدنى تل، هي أقدام تبدو إلى الآن على الأقل متثاقلة الخطى، تأبى التزحزح عن مواقع صدارتها الكونية التقليدية.

لكن رغم بطء إيقاع هذا التغيير المرجح، أستطيع أن أقول: إن عالما جديدا لا محالة هو الآن قيد التشكل، وفق معطيات ومعادلات ومسارات، لا يعلم أيان مرساها سوى الله مدبر هذا الكون العريض، المهيمن على مصائره أمما وشعوبا، دولا وحكومات.

لكن السؤال ما هي شروط تصدر «شاتنا العرجاء» للسباق؟!

السودان وصحيح الإسلام وجهان لعملة واحدة!!

يلخص الدكتور عبدالله الفكي البشير في كتابه: «محمود محمد طه وقضايا التهميش في السودان»

رؤية الأستاذ محمود محمد طه تجاه السودان، من خلال محور في الكتاب، جاء تحت عنوان: (السودان: من الهامشية، إلى مركز دائرة الوجود).

يقول دكتور عبد الله: «أن تعريف السودان عند الأستاذ محمود محمد طه، يختلف عما درج الناس عليه، إذ أن تعريف السودان عند محمود محمد طه، لا يُلتمس من طبيعة علاقته بمحيطه العربي الإسلامي أو الأفريقي، ولا يُشخص من خلال ارتكازه على مُرتكز حضاري أو ثقافي خارجي، كالمرتكز العربي والإسلامي أو غيره، وإنما يتم تعريف السودان انطلاقاً من «ذاتيته».

فالسودان، عند محمود محمد طه، باعتبار دوره المُرتجى، هو مركز دائرة الوجود على الكوكب، فهو يقول: «أنا زعيم بأنّ الإسلام هو قِبلةُ العالم منذُ اليوم، وأن القُرآنَ هو قانُونُه، وأنَّ السّودان إذ يُقدّم ذلك القانون في صورتِه العمليّة المُحقِّقة للتّوفيق بين حاجة الجّماعةِ إلى الأمنِ وحاجةِ الفردِ إلى الحّريّة الفرديّة المُطلقة، هو مركز دائرة الوجود على هذا الكوكب».

وفي توضيحه للإسلام الذي هو قبلة العالم الذي يُرتجى منه تقديم تلك الصورة العادلة والمُشرقة للسودان وللعالم.

يمضي دكتور عبد الله إلى القول: «فالإسلام الذي هو قبلة العالم، والمنتظر من السودان تقديم قانونه في صورته العملية، ليس هو الإسلام كما يفهمه الناس اليوم، وإنما هو الإسلام بفهم جديد. فقد طرح محمود محمد طه الفهم الجديد للإسلام منذ عام 1951. وبين معالمه، وفصله، وحدد غاياته، وأهداه إلى الإنسانية».

وهذه الدعوة هي دعوة لمدنية جديدة إنسانية دستورها (القرآن) في مستوى آيات الأصول وهي (الآيات المكية)، وهو المستوى الذي يصلح لمواجهة تحديات العصر وحاجة الإنسان، حيث التوفيق بين حاجة الجماعة إلى الأمن وحاجة الفرد للحرية الفردية المُطلقة، حيث الإسماح والسلام والخطاب الكوكبي، وهي آيات تخاطب الناس كافة (يا أيها الناس)، وهو مستوى أرفع من القرآن في مستوى (الآيات المدنيّة) آيات الفروع، حيث الإكراه وتشريع القرن السابع الهجري، فهي قد كانت تناسب طاقة ذلك الوقت.

ويوضح عبد الله بأن هذه المدنيّة الجديدة الإنسانية عند الأستاذ محمود، ترى «أن الأسرة البشرية واحدة، وأن الطبيعة البشرية حيث وجدت فهي بشرية، وأن الحرية والرفاهية، حق مُقدس طبيعي، للأسود، والأبيض، والأحمر، والأصفر».

كما يوضح أن الإسلام عند الأستاذ محمود محمد طه، فكر متطور ولا يجمد على صورة واحدة، لا في التشريع ولا في الأخلاق، إلا حين تعجز العقول عن الانطلاق معه.

ولهذا كان تطوير التشريع أحد مرتكزات الفهم الجديد للإسلام.

ويؤكد دكتور عبد الله، بإن الإيمان بالسودان عند الأستاذ محمود محمد طه، لا حد له، فالسودان إذ يقدم الفهم الجديد للإسلام للإنسانية، لن يعاني من الهامشية، فبالإضافة إلى كونه مركز دائرة الوجود، فإنه سيصبح من الروافد التي تضيف إلى ذخر الإنسانية ألواناً شهية من غذاء الروح وغذاء الفكر إذا آمن به أبناؤه».

ثم ماذا بعد الحرب؟!
خير الدنيا بجنة الله في الأرض!!

يروي د. تاج السر الترابى في أواخر ديسمبر 1984م قائلا: «اذكر إنني كنت موجودا في جلسة حوار فكري بمنزل الاستاذ محمود محمد طه، قبل إصدار منشور الفكرة الجمهورية الشهير (هذا أو الطوفان).

تناول الحوار الفكري موضوعات عديدة، ولكن ما لفت انتباهي وكل تركيزي، مقولة الاستاذ محمود: إذا علمتم «بأحداث» و«ثمن» تكلفة انتزاع واقتلاع جماعة «الهوس الديني» من جذورهم، من أرض السودان، لما تمنيتم أن تدركوا ذلك الوقت.

فسأل أحد التلاميذ الأستاذ عن تصوره لشكل تلك ألاحداث، رد عليه الأستاذ: (البلد دي، راح تكون في حالة «دمار شامل» و«خراب كامل»، خاوية على عروشها، حتى تقنعوا من خير فيها، ثم بعد داك، تعمر.

وتلى الأستاذ محمود على تلاميذه: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً، فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ، اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ، وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ).

وبعدً «العمار» أردف الأستاذ:

يجيء عليكم خير، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

يجيكم خير الدنيا بجنة الله في الأرض».

من بيده مفتاح هذا الخروج والخير؟!

فالنجم الساطع قد تجمر!!

على أية حال فإن كل شيء في هذا الكون، الطويل العريض، قد خلق بقدر.

الحركات والسكنات كلها بقدر.

قدر مقاليده بيد المدبر لكل فعل، والمهيمن على أي شيء، صغر أو كبر هذا الشيء، دورا وأثرا وقيمة.

هو سبحانه عما يصفون، يرفع بقدر الحرارة درجات تكفي لتبخر الماء، وهو بقدر يجمع، ذرات ذات الماء في طبقات الجو العليا، يعرضها، لهواء بارد يكثفها، ليجريها سحابا ثقالا، ينزله صيبا نافعا، ليحيي به أرضا كانت مواتا.

هكذا هي بذور اللقاح تحملها دائما رياح التغيير، في كل زمان، إلى أي مكان، لكي تصنع التاريخ.

المهم فإن السودان الذي تجمر إلى الآن بما يكفي لكي يلمع كنجم ساطع، قد بات هو في ظني أيضا قاب قوسين أو أدنى، من بوابة الخروج عن هذا التيه، ينتظر أو ينتظره خير عميم.

معاوية نور

الرؤية الجلية في الظلام الدامس!!
نور الأسئلة وحكاية كيس الصعود

عبدالغني كرم الله

بوصلة

النص يتحدث عن قصة تعليمية تحمل رسالة عظيمة حول أهمية الذكاء والتفكير النقدي في حياة الأطفال؛ من خلال تجربة الأخوين معاوية وشرحبيل في مهمة البحث عن «حقة الصعود» في الغرفة المظلمة.

تأملات

• البحث عن الحقيقة: يتناول النص موضوع البحث عن الحقيقة والصعود من الظلام إلى النور، مشيرًا إلى أهمية الذكاء والسؤال في هذا العمل.

• التفاوت بين الأخوة: يُظهر النص التفاوت بين الأخوة معاوية وشرحبيل في تعاملهما مع نفس المهمة، حيث يتميز أحدهما بالذكاء والتنظيم، بينما يتخبط الآخر ويبحث بصورة عشوائية.

• التعليم والتربية: يُبرز النص أهمية التعليم والتربية في تنمية الذكاء والإرادة الحرة لدى الأطفال، وكيف يمكن للأسئلة والتجارب البسيطة أن تساهم في تطوير الفكر والتفكير النقدي.

• التطور البشري: يتناول النص موضوع التطور البشري والتقدم الثقافي والعلمي، مشيرًا إلى أن الفكر والإرادة الحرة هما مفتاح التطور والتقدم.

(الحكاية الثانية)

معاااااوية؟
شرحبييل؟
يا جنى جيب حقة الصعود من الأوضة!!

هكذا صرخ الأب، أنسل الصوت، في ليلة مظلمة، من حوش وسيع، تفتح الدار غربًا، والصبية الصغار يلعبون في الطريق الذي يقود إلى سوق المورده القريب، وخياشيمهم تمتلئ برائحة الطمي والسمك، حيث النيل لا يبعد سوى ثلاثمائة متر، أيديهم تمسك أرجلهم من خلاف، يلعبون لعبة «شدّت»، في شارع وسعته نفوسهم الطيبة، أكثر من رحابته، وأجمل، فصار مرتع صباهم، وبيت أحلامهم.

أقبل الصبيان متقطعي الأنفاس، ليجدوا الأب الوالد، والخال الدرديري في قلب الدار، في كراسي خشبية، في ونسة عن البلاد، والزواج والأراضي في توتي، والعيش في ظل الاستعمار الحديث، وبقايا ذكريات عن عصر المهدية، وتحويل سجن التعايشي، قرب دار الدرديري، لملعب لكرة القدم، والطاهرة تصنع في الشاي المنعنع، لأخيها وزوجها، وأهلها.

جرى شرحبيل مباشرة للأوضة كي يبحث عن (الحقة)، أما معاوية فقد أقبل على أبيه، يسأله:

- في أي غرفة؟
- الغرفة الفيها صورة آية الكرسي.
- في أي عنقريب هي؟
- قال الوالد: العنقريب الغربي.
- رد معاوية: قرب أي كراع؟
- الكراع الوراء قصاد آية الكرسي.
- تحت المخدة؟ أم المرتبة؟
- تحت المرتبة.

ثم سار واثق الخطو، وبنور الذكرى، في معرفة البيت، وبضياء الأسئلة الذكية، أسئلة أصدق من بوصلة، أو نجم بعيد لمسافر عجوز خبير، اقتفى معاوية آثار درب وصف والده، مضى، للغرفة المظلمة الكبيرة، التي أضاءها سراج أسئلته وذكاؤه الوقاد، (هكذا كان في سائر عمره القصير، العظيم، ينير ظلمات الفكر والشعور)، عرج على العنقريب المعني، وكان شرحبيل داخل الغرفة، متعرقًا، يبحث هنا وهناك، ويتعثر، ويسقط ويلعن، كمن يبحث عن قطة سوداء، في غرفة ظلماء، وهي أصلا غير موجودة، تلكم القطة، ورفع معاوية المرتبة، ولمس برودة (الحقة)، ومضى لأبيه، وترك أخيه يبحث عنها، بلا دليل أو برهان، سوى المصادفة البحته.

(سبقك عكاشة يا شرحبيل المرح)، المهمة واحدة، والطرق كثيرة، ومنها القصير، ومنها الطويل، رغم أن الغاية واحدة، فكم من الشعوب اقتدت بمعاوية، وكم منها اقتدى بشرحبيل؟

كان متوقد الذكاء، وهو طفل لم يبلغ السابعة، أو الثامنة، وتجلى ذلك حين أرسله والده لجلب حقة الصعود هذه، في الغرفة المظلمة، لم يجر مثل أخيه شرحبيل، الذي سبقه، حين سمع نداء والدة من وراء الحوش «يا جنى جيب حقة الصعود، ولكنه سأل مثل ديكارت عن كل شيء، كان يعرف دربه بالأسئلة، كي لا يتخبط في دروب الحياة الكثر، بعشوائية فطرية، يسأل في أبسط الأمور، وأعلاها، أي تربية مفكر صغير، فقد جرى شرحيل حين سمع النداء وانحشر في الغرفة بحثًا عن حقة صعود، مثل من يبحث عن قطة سوداء في غرفة ظلماء، ولكن معاوية وقف بأدب أمام أبيه، وسألة «في أي عنقريب؟ قيل له الشرقي، وقرب أي كراع، قيل له الكراع اليمنى، تحت المخدة؟ أم تحت المرتبة؟ قيل له تحت المرتبة، فمضى بخريطة الذاكرة، فهو يعرف موقع الدولاب والعناقريب، والنوافذ «كما نعرف الفم في الأكل في قلب الظلام»، وبنورها (أي تلكم الأسئلة)، رأى الحقة، ولم يتخبط مثل أخيه الذي سبقه، وبحث في كل الأمكنة، ما عدا موقعها الحقيقي، وحملها برفق وسرعة، وإتقان لوالدة، وهكذا يحرر الفكر الإنسان من التخبط، والبحث الأعمى، والضلال، وإضاعة الوقت، «الثروة الأم»، أي الدهر، وتجلى ذلك من مرحلة طفولته الباكرة، مفكر صغير، وعنيد، وذكي.

لا شيء مثل الفكر، يقود للخلاص، فمنذا أن استقام قوام الإنسان، وانتصب يمشي برجلين، ومد أصابعه وقطف ثمرة، أو هزّ الشجرة، إن كانت شاهقة، أو استخدام عصاة «أدوات الإنتاج الأولى»، وتساقطت الثمار، وأكلها، فقد، فتحت آفاق التطور، اللانهائي، الذي نجني ثماره الآن، وقد استعد الجسد بتطور جوارحه، اليد الرشيقة، والخيال الخلاق، والإرادة، وحس التطور، من ذلكم الرجل، وأناملة، وهز الشجرة، وتساقط ثمر، وأكله، تفكير وحصاد آثاره، إنه فرح ود تكتوك، حلال المشبوك، أي الفكر.

لا بد من قرني وإن "....."

السر السيد

الصورة الكبيرة

من خلال معرفة ممتدة ولصيقة ينحت الكاتب بروفايل لمحمد عبد الرحيم قرني؛ الفنان المتميز في مجالات التمثيل والإخراج والتأليف؛ مبتدراً التعريف بمدخل سيرته الفنية في المعهد العالي للموسيقى والمسرح، معرفاً بمهاراته في التمثيل والإخراج، ومعدداً مشاركاته في المسرحيات والمسلسلات التلفزيونية والإذاعية، ومساهماته النظرية في مجالات الدراما والمسرح.

معـــالم

• المسرح: شارك قرني في عدد كبير من المسرحيات، مثل «مأساة يرول»، «إمبراطورية الجداد»، و»ضو البيت»، وأعدّ مسرحيات مثل «أحلام العطا ود زينب».

• الإذاعة: كان قرني مشهورًا في الدراما الإذاعية، حيث شارك في عدد كبير من المسلسلات والتمثيليات.

• التلفزيون: شارك في مسلسلات مثل «الشاهد والضحية»، «دماء على البحر»، و»مهمة 65»، وأدى أدوارًا متنوعة في الأفلام التلفزيونية.

• التأليف والتدريس: كتب مسرحيات وأعدّ قصصًا، وعمل كمخطط ومعلم لفنون المسرح والدراما، خاصة في قصر الشباب والأطفال.

• المساهمات النظرية: قدم قرني مساهمات نظرية في مجال الدراما والمسرح، وشكّل نادي الدراما لتعزيز الإبداعات الفنية.

توطئة:

كان من تقاليد المعهد العالي للموسيقي والمسرح، الاستعانة بالخريجين للتمثيل في مشاريع تخريج طلاب قسم التمثيل والإخراج، ومن هنا كانت المرة الأولى التي رأيت فيها الفنان محمد عبدالرحيم قرني، الذي كان قد تخرج في العام 1979. شاهدته وهو يقوم بتمثيل شخصية «أوكونكو»، بطل رواية (الأشياء تتداعى) للكاتب النيجيري تشينوا أتشيبي، التي اتخذت عنوان (أكونكو)، بعد أن أعدّها للمسرح الطالب آنذاك الأستاذ إبراهيم البزعي، ليتخرج بها الطالب آنذاك الدكتور حاج أبا آدم، ثم كانت المرة الثانية وفي نفس ذات المشاريع عندما قام بتمثيل شخصية «الأب»، في مسرحية (الأب)، للسويدي أوغست استراندبيرج، التي تخرج بها الطالب آنذاك المخرج التلفزيوني المعروف الفقيد أسامة الجوخ، عليه رحمة الله.

بعدها تعرفت عليه اكثر، كممثل، في المسرح ودراما الراديو والتلفزيون وكمؤلف ايضا، وليس هذا فحسب وانما ايضا كمخطط ومعلم لفنون المسرح والدراما،كما في تجربته الطويلة في قصر الشباب والاطفال.

خلال هذه المعرفة الممتدة واللصيقة من مطلع ثمانينيات القرن الماضي وإلى الآن، كنت شاهدًا على عروض مسرحية ودرامية كثيرة شارك فيها الفنان قرني، ففي المسرح شارك ممثلًا في مسرحيات، (مأساة يرول) للخاتم عبدالله والمخرج السماني لوال، و(إمبراطورية الجداد) لذو الفقار حسن عدلان والمخرج قاسم أبوزيد، و(ضو البيت) للطيب صالح ومن إعداد محمد محيي الدين مع المخرج قاسم أبوزيد، و(سهرة مسرحية) لمصطفى أحمد الخليفة والمخرج يحيى فضل الله، كما كتب مسرحية (أحلام العطا ود زينب)، وأعد واحدة من قصص الروائي جمال الغيطاني ضمن مجموعته القصصية (ذكر ما جرى). أيضًا قدم عروضًا مسرحية في الأماكن المفتوحة، كما حكت لي الفنانة الكبيرة نعمات حماد. وفي دراما التلفزيون شارك ممثلًا في مسلسلات «الشاهد والضحية»، لعادل محمد خير والمخرج فاروق سليمان، و«دماء على البحر» لعادل محمد خير والمخرج عبدالرحمن محمد عبدالرحمن، و«مهمة 56» لقسم الله الصلحي والمخرج شكرالله خلف الله، كما شارك في بعض حلقات سلسلة «متاعب» للمخرج محمد نعيم سعيد، ومثّل في عدد من الأفلام التلفزيونية منها فيلم «صهيل العقاب» للمخرج مجدي النور، هذا إضافة إلى سلسلة، (ناس وناس)، التي كتب معظم حلقاتها وانتجت تحت إشرافه والممثل القدير الرشيد أحمد عيسى، وفي معية مجموعة من خريجي قصر الشباب والأطفال مع المخرج مجدي النور. أما في دراما الإذاعة فيعد الاسم الأبرز في معظم المسلسلات والتمثيليات تحديدًا من التسعينيات وإلى الآن، فلا يكاد يغيب صوته عن عمل درامي إذاعي يحمل قيمة فنية وفكرية. يضاف لهذا بالطبع ما قدمه من مساهمات نظرية.

بعد هذا العرض لبعض من سيرته الإبداعية الباذخة سأقدّم شهادتي مسلطًا الضوء وبالقليل من التفاصيل على بعض ملامح هذه السيرة.

الإضاءة الأولى:

وهي عن قرني الممثّل بتركيز على بعض الشخصيات التي جسّدها، وأشير أولاً إلى ميزة عُرف بها بين أقرانه وهي رهانه على النص الجيّد شكلًا ومضمونًا، فقد كنت شاهدًا على اعتذاره عن المشاركة في بعض النصوص المسرحية والتلفزيونية والإذاعية، لذلك جاءت الشخصيات التي جسدها بكل ذلك الجمال والتعقيد في البناء والمصائر المتسائلة، كشخصية (أكونكو)، الزعيم التقليدي لعشيرة أفريقية، المتنازَع بين أسئلة الهوية والتغيير والتقدم، وبين ثقافته الأم ونزعاته الشخصية المتعالية ومقاومة ثقافة المستعمر، إنه ذلك البطل المأساوي الذي ينتهي به المطاف إلى أن يشنق نفسه. أو شخصية (الأب)، شخصية الضابط المتقاعد، المهتم بالعلم الذي ينفق أمواله في شراء الكتب ويعيش مع زوجة تنازعه في تحديد مستقبل ابنتهما التي يحبها كثيرًا لتقوده في الأخير وبمقدرة فائقة في الشر إلى الجنون. أو شخصية (محيميد) في مسرحية ضو البيت، تلك الشخصية المتعلمة التي تعرف كل شيء ولكنها تترد في اتخاذ الموقف المناسب بحثًا عن السلامة، كما في موقفه من حُسنة بت محمود التي طلبت منه أن يتزوجها فخذلها. أو شخصية (العراف) في مسرحية مأساة يرول، تلك الشخصية التي تمثّل «السلطة الدينية» في مجتمع القرية، ولأنها كذلك تقرر أن تقدم أجمل فتيات القرية «يرول» قربانًا حتى يهطل المطر. هذا العراف

الذي نكتشف إنه قرر قتل يرول ليس إرضاء للآلهة فقط وإنما لأنها رفضت ممارسة الجنس معه. أو شخصية (أبو سنيدة) في مسلسل الشاهد والضحية، تلك الشخصية التي تجد نفسها في علاقة مع أصحاب النفوذ، وتتحمل وزر جريمة قتل لم ترتكبها فتصبح الشاهد والضحية في نفس الوقت، ويقع على عاتقها فضح الوضع برمته خاصة في مستواه القانوني، لتنتهي مشنوقة في زنزانتها، ضحية لعلاقات القوة.

هذه الشخصيات التي جئت بها على سبيل المثال، كلها شخصيات مركبة، كثيرة التعقيد، وكلها عبّرت عن أسئلة ذات أبعاد نفسية عميقة، وذات صلة بالهوية الشخصية والهوية العامة، وكلها انتهت إلى مصائر مأساوية، كالانتحار والجنون والقتل والأنانية والفضيحة. هذه الشخصيات كلها نطق بها الممثل محمد عبد الرحيم قرني بكل توتراتها وصراعاتها مع ذاتها ومع ما يحيط بها، جسّدها قرني كأبلغ ما يكون التجسيد، فلا زلت أذكر الطريقة التي قتل بها يرول (الممثلة تهاني عبدالله)، فقد استطاع أن يغرز السكين في بطنها عبر أداء يشبه (الإيلاج الجنسي)، في دلالة عن التعبير عما حرمته منه، ولعمري هذه مقدرة فائقة في التمثيل لا تدل فقط على فهم أبعاد الشخصية وإنما تدل على معرفة بمقدرة (السلطة) في احتلال الأجساد. ولا زلت أذكر كذلك أداءه في ذلك المشهد، في مسلسل الشاهد والضحية الذي جمع بينه وبين الضابط «الهادي الصديق»، وهو في زنزانته والضابط يحدثه عن العدالة والقانون. لقد مزج قرني هنا بين الأداء المسرحي والأداء التلفزيوني في مشهد يتطلب هذا المزج لأنه يقوم على ما يشبه المرافعة، فقد كان رده على الضابط، ما يلي:

أبوسنيدة: قانون.. ياتو قانون.. نسيت إنو القانون في البلد دي أبكم وأطرش وعميان.. قانون ما بيطال إلاّ الناس الما عندهم ضهر.. إنت منو؟ وبتعرف شنو عن الناس الاترحلو بالليل في عز البرد.. وجو الخرطوم عشان يدلو بأصواتهم لواحد مرشح تافه؟

الإضاءة الثانية:

وهي عن سلسلة (ناس وناس)، وحولها أقول: إنها جاءت نتيجة لرغبتنا في إدارة الدراما في ذلك الوقت، في تعميم صيغة (المنتج المنفذ)، لتشمل أصحاب المصلحة الحقيقيين من فرق وجماعات وألا تكون وقفًا على شركات الإنتاج، وفرقة الأصدقاء المسرحية، وكذلك رغبتنا في خلق تنافس حميد بينها، فكان أن تفاكرنا مع قرني والرشيد أحمد عيسى ومجدي النور في إنتاج سلسلة درامية، اختاروا لها هم عنوان (ناس وناس)، لتكون جنبًا إلى جنب مع سلسلة متاعب وكركتير لجمال حسن سعيد والسلسلات الأخرى. اتخذت هذه السلسلة أسلوب الورشة أو المعمل في صناعة عروضها، وقد كان لقرني الدرور الأكبر في جعل هذا ممكنًا خاصة وأن معظم الفاعلين فيها من تلامذته. قدمت هذه السلسلة عدد 13 حلقة، بزمن 40 دقيقة للحلقة. كتب منها قرني 10 حلقات، والمخرج عادل حسن الياس حلقة واحدة، ومجدي النور حلقة واحدة، وكانت الحلقة الـ 13 فيلما من تأليف الكاتب أنس عبد المحمود. نَحَت هذه السلسلة في طرح الموضوعات ذات الطابع الاجتماعي، لذلك جاءت مختلفة نوعًا ما عما تقدمه فرقة الأصدقاء. يحمد لهذه المجموعة إنها لم تكن وقفًا على منسوبيها، فقد استعانت ببعض الممثلين كالرائد المسرحي محمد خلف الله والفنانتين فايزة عمسيب وسامية عبدالله، كما كان تميُّزَها في أنها قدمت الرائد المسرحي محمود سراج، وربما للمرة الأولى في غير شخصيته التي عرف بها، (شخصية أبو قبورة).

لقد شكّلت سلسلة (ناس وناس)، إضافة نوعية في المشهد الدرامي التلفزيوني، كما أنها كانت فرصة للكثيرين في التعرّف على طرائق الكتابة لدراما التلفزيون والتمثيل للتلفزيون.

الإضاءة الثالثة:

سأفردها للدراما في قصر الشاب والأطفال. من المعلوم أن قصر الشباب من إنجاز نظام مايو 1969-1985، وكان قد افتتح في 29 مايو 1977 كصرح قامت بتشييده وبكل احتياجاته كوريا في عهد رئيسها كيم ايل سونغ. أن تأتي على سيرة الدراما في القصر، فأنت لا محالة تعني الأستاذ محمد عبد الرحيم قرني، فقد ارتبطت باسمه وارتبط بمشروعها نظريًا وعمليًا، وكذلك بتقاليدها. صحيح إنه جاء إلى قسم الدراما متعاونًا في العام 1980 وتم تعيينه رسميًا في العام 1981، وسبقه في التدريس من خريجي المعهد العالي للموسيقى والمسرح الأساتذة الأمين مسمار جماع، وصلاح الحسن حماد، وفادية الجنيدابي، إلا أن ما جعل اسمه يرتبط بدراما القصر وترتبط هي باسمه الفترة الطويلة التي قضاها في قسم الدراما وهي الفترة الممتدة من العام 80 إلى 1992، تاريخ تقاعده الاختياري، بسبب مضايقات طالته شخصيًا وطالت جدوى ما يقدمه قسم الدراما بمنظار أوائل التسعينيات. وفّرت له هذه السنوات الطويلة، إضافة إلى أنه موجود وفاعل في المشهد المسرحي والدرامي على عكس من سبقوه؛ وفّرت له فرصة الاشتغال في تطوير المنهج وخلق تشبيك خلّاق مع فاعلين مسرحيين، ومع مؤسسات نظيرة كالمعهد ومؤسسة الدولة للسينما، فكان أن توفّر للقسم خريجين كثر ومن دفعات مختلفة كالأساتذة حامد جمعة، عبد الجبار عبدالله، عادل سالم حمادة، الرشيد أحمد عيسى، ندوة حسن وغيرهم. من الأفكار ذات الدراية بطبيعة المسرح والدراما التي يعود فضل تنفيذها والإشراف عليها له، فكرة تأسيس (نادي الدراما)، الذي مثّل الحيّز الذي تتخلق به وفيه إبداعات الدارسين والدارسات في التمثيل والإخراج والتأليف، ومن هذا الحيز خرجت أولى إبداعات سيد صوصل وعبدالعظيم حمدنا الله وغيرهم. يستطيع الناظر للمشهد المسرحي والدرامي خاصة في فترة الثمانينيات وما بعدها أن يرى مساهمات نادي الدراما وأن يلمس دور قرني في هذه المساهمات، ويكفي هنا أن نشير إلى أسماء كثيرة لها موقعها المتميز في هذا الحقل كانت على صلة بالقسم. أسماء لامعة كثيرة لا يمكن حصرها، وعروض وأنشطة وأدوار في الشأن العام للمسرحيين كان لمنسوبي القصر حضورًا فيها، فنّاً، ومشاركةً، ومشاكسةً.

لا تكتمل هذه المقالة إلا بالإشارة للوجه الآخر من قرني، حيث اعتزازه البليغ بقيمة الفنان وتأكيد أصالته في ما يقوم به، وحيث سعيه الدؤوب في غرس قيمة (الالتزام)، وأخلاقيات المهنة وكأنه شيخ لطريقة.

الرحالة ميتشو

مغامرة جديدة مع المريخ

أسدل نادي المريخ الستار أخيرًا على مسلسل البحث عن مدرب جديد، بالإعلان الرسمي عن التعاقد مع المدرب الصربي المخضرم ميلوتان سريديوفيتش، الشهير بـ «ميتشو»، لقيادة الفريق في المرحلة المقبلة. وقد تم توقيع العقود في دولة الإمارات بحضور المدير الرياضي للنادي، نادر خليل، منهيًا بذلك فترة من التكهنات والشائعات التي أحاطت بمستقبل الفريق.

ووقع ميتشو عقدًا يمتد لموسم ونصف، وسيتولى قيادة الجهاز الفني الذي يضم كلًا من مساعد المدرب الصربي دوسان ستويانوفيتش، والفرنسي فرانك بلين معدا بدنيا، والجزائري الحاج موسى بهيليل محللا للأداء .

من هو ميتشو؟

ميتشو هو مدرب صربي وُلد في 1 سبتمبر من عام 1969، كان قد بدأ مسيرته كلاعب مع فريق سوفوبودا ليوبليانا السلوفيني، جرافتشار بيوجراد، زوركا سوبوتيكا بالإضافة إلى بيونير سوبوتيكا الصربي، ولكن تعرضه لإصابة مزمنة في الركبة اضطره لاعتزال اللعبة والتركيز على مجال التدريب.

بدأ ميتشو مشواره التدريبي في صربيا مع فريق باليك في عام 1994 واستمر معهم لمدة سنوات كاملة، قبل أن يتولى مسئولية قيادة فريقه السابق بيونير سوبوتيكا ولكنه لم يستمر معهم لفترة طويلة حيث رحل عنهم بعد موسم واحد فقط، كما قام بتدريب منتخب يوغسلافيا تحت 20 عاماً وفريق هايدوك كولا ولكن في تجارب قصيرة.

تذوق ميتشو طعم النجاح عندما انطلقت مغامرته الجديدة في قارة أفريقيا بدايةً من عام 2001، وقام بتدريب فيلا الأوغندي لمدة ثلاث سنوات قبل أن ينتقل إلى إثيوبيا ويقوم بقيادة فريق سان جورج لمدة عامين ثم رحل إلى جنوب أفريقيا بعد عرض من أورلاندو بايرتس ولكنه استمر معهم لمدة أقل من عام واحد.

استمر ميتشو في خوض تجارب مختلفة داخل القارة السمراء وذهب إلى دولة مختلفة هذه المرة وهي تنزانيا من أجل الإشراف على فريق يانج أفريكانز، ثم عاد مجدداً إلى سانت جورج الإثيوبي في عام 2007، قبل أن يوافق على عرض الهلال السوداني في 2010 ويمكث معهم لمدة عامين فقط.

قرر ميتشو تغيير مساره نحو المنتخبات الوطنية، حيث تولى تدريب منتخبي رواندا وأوغندا، ثم عاد مجددًا إلى أورلاندو بايرتس في عام 2017 واستمر معهم حتى 2019. بعد ذلك، انتقل إلى مصر لتدريب نادي الزمالك، لكن تجربته هناك انتهت سريعًا بعد 12 مباراة. توجه بعدها إلى زامبيا لتولي قيادة المنتخب الزامبي لمدة موسم واحد فقط، قبل أن يعود لتدريب منتخب أوغندا مرة أخرى، ثم المنتخب الليبي، وأخيرًا حط الرحال في نادي المريخ .

أسلوب اللعب والتكتيك المتوقع

يُعرف ميتشو بتفضيله لطريقة اللعب 4-4-2، مع التركيز على الأداء الهجومي والضغط العالي على المنافس. يُعتبر ميتشو من المعجبين بفلسفة يوهان كرويف ويعتبرها مرجعه في كرة القدم الحديثة. يتميز ميتشو بمرونة تكتيكية تسمح له بتغيير الخطط حسب الحاجة، وقد لجأ في بعض الأحيان إلى خطة 3-4-3 لتحقيق التوازن بين الدفاع والهجوم، وهو ما يُتوقع أن يعتمده مع المريخ في الفترة المقبلة.

قضية الاتهام بالاعتداء الجنسي وبراءته

واجه ميتشو اتهامات بالاعتداء الجنسي في جنوب أفريقيا، وهي القضية التي أثرت على مسيرته بشكل كبير. إلا أن المحكمة العليا في جنوب أفريقيا أصدرت حكمًا ببراءته من جميع التهم الموجهة إليه، ليُسدل الستار على هذه القضية بشكل نهائي.

تطلعات المريخ مع ميتشو

يأمل جمهور المريخ أن يُحقق ميتشو النجاحات مع الفريق، وأن يُعيد النادي إلى منصات التتويج محليًا وقاريًا. خبرة ميتشو الكبيرة في أفريقيا، ومعرفته بالكرة السودانية من خلال تجربته السابقة مع الهلال، تُعتبر من العوامل الإيجابية التي تُعزز من فرص نجاحه مع المريخ.

الهلال على القمة رغم الكبوة

أرقام من الجولة الأخيرة

خسارة ثقيلة

الهلال تعرض لهزيمة قاسية أمام مازيمبي الكونغولي برباعية نظيفة، وهي أثقل هزيمة للفريق في تاريخه بدور المجموعات من دوري أبطال إفريقيا

صدارة رغم السلبية

الهلال أول فريق في تاريخ دور المجموعات يتصدر مجموعته بصافي أهداف سالب (-1)، حيث سجل الفريق 6 أهداف واستقبل 7 أهداف، الصدارة جاءت بعد تعادل الشباب التنزاني مع مولودية الجزائر في الجولة الأخيرة

دفاع جزائري حديدي

اختتم مولودية الجزائر دور المجموعات بأقوى خط دفاع، حيث لم يستقبل سوى هدفين فقط، وكلاهما جاءا أمام الهلال

استحواذ سلبي للتنزاني

صُنف الشباب التنزاني ثاني أكثر الفرق استحواذًا في دور المجموعات بين الأندية الـ16 ورغم هذا الأداء المميز في الاستحواذ، فشل الفريق في التأهل لربع النهائي

الهلال والهزائم الكبيرة في المجموعات

الهزيمة أمام مازيمبي برباعية ليست الأولى في تاريخ الهلال بدور المجموعات، حيث سبق وأن تلقى الفريق خسارتين ثقيلتين بالنتيجة نفسها: الأولى في نسخة 2008 أمام إنييمبا النيجيري (4-1)، والثانية في نسخة 2022-2021 أمام ماميلودي صنداونز الجنوب إفريقي (4-2)